
يحبهم ويحبونه
قواعد الحب الأربعون
محمد محمود
يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : يحبهم ويحبونه

المؤلف : محمد محمود

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٢١٠٠ / ٢٠١٨

الترقيم الدولى : 0 - 803 - 776 - 977 - 978

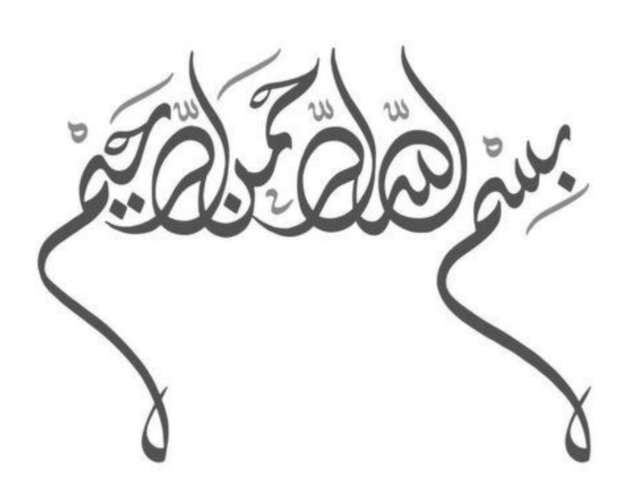
العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ ـ ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أبي وأمي

﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

إلى زوجتي وابني

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

إلى إخواني وأصحابي

وأساتذتي وطلابي

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنار بهدايته الدروب، وألان برحمته القلوب، ووفق العاصي ليتوب، ومحا بعفوه الذنوب، ويسَّر بقدرته الكروب، والصلاة والسلام على نور الأنوار، محمدٍ الصفيِّ المجتبى المختار، وعلى صحابته الكرام الأخيار، وأزواجه وذريته الأبرار الأطهار، ومن تابعهم بإحسانٍ إلى دار القرار، وفقهم الله إلى خير دار، وصرف عنهم عذاب النار..

وبعد،

فإنَّ الغاية المرجوة والأمل المنشود من عبادة المعبود هو إدراك محبته وتحصيل رضاه، مما يوجب الاجتهاد الحثيث في معرفة ما يحب وما يبغض، ولأنه رحيمٌ لطيفٌ رءوفٌ فقد يسَّر الأمر غاية التيسير، ودلَّ على سبل المحبة ودروب الرضا، ولا يتبقى إلا أن يترسَّم العبد سبيله، ويتبع هداه؛ ليحظى بمحبته

ويفـوز برضـاه: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]، وما أروعها من نتيجة.. حب الله، وهل ثمة شيءٌ أغلى من إدراك حب الله وأعظم؟!

فما أظلت السماء ولا أقلت الغبراء من هو أحظى ممن أدرك محبة الله التي إن نالها عبدٌ فاز فوزًا عظيمًا، وربح خيرًا وفيرًا، وغنم مغانم الدنيا والآخرة، كيف لا وقد فاز بحب سيد الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»[2].

وفي هذا المبحث نتلمَّس ما يحبه الله ويرضاه؛ لنكون له كما يحب، رزقنا الله حبه وأنعم علينا برضاه وأخلص أعمالنا لوجهه الكريم.. المؤلف.

---

[1] - آل عمران 31
[2] - رواه البخاري.

١- كن محسنًا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]

والإحسان هو الدرجة الأعلى من الإسلام والإيمان، ذلك لأن «..الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا..»، أمَّا الإيمان «..أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ..»، بينما الإحسان «..أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ..[2]».

وقد قسَّم العلماء الإحسان من خلال الحديث السابق إلى مقامين، الأول أن تعبد الله كأنك تراه؛ وهو مقام المحبة والرجاء والرغبة، والآخر أن تعبده وأنت تعلم أنه يراك؛ وهو مقام الخوف والرهبة.

---

[1] - البقرة 195 – المائدة 13.

[2] - من حديث جبريل يعلمكم دينكم، رواه مسلم.

والإحسان مع الله هو الإتيان بالمطلوب شرعًا على وجهٍ حسن، وعبادته كأنك تراه، واليقين بأنه يراك، والاجتهاد أن يراك في أحسن صورة.

والإحسان مع النفس يكون بترغيبها في رضا الله والجنة وفي كل قولٍ أو عملٍ يقرب إليهما، ويكون بترهيبها من سخط الله والنار، ومن كل قولٍ أو عملٍ يقرب منهما.

والإحسان مع الناس يكون ببذل المعروف لهم، ويُقدَّر لكلٍّ حسب قدره، فالإحسان للوالدين يكون ببرِّهما، وطاعتهما، والتودُّدِ إليهما، وتقديم المعروف لهما، وكفِّ الأذي عنهما -ولو بلفظة تأفف-، وإكرام أصدقائهما، وإدامة الدعاء والاستغفار لهما، وأفضل ما تدعو لهما به أن يرحمهما الله كما ربياك صغيرًا، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

﴿٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[1].

والإحسان إلى الأقارب يكون في وصلهم، وبرِّهم، وتقديم المعروف إليهم، والعطف على كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وإعانة فقيرهم، والوقوف إلى جوارهم في فرحهم وحزنهم، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «قَالَ اللهُ : أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[2].

والإحسان مع الأبناء يكون برحمتهم، والرفق بهم، والصبر عليهم، وعدم الإفراط في تدليلهم، ولا المبالغة في عقابهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وتربيتهم على الرغبة في الفضيلة والنفور من الرذيلة، وتأديبهم، وتعريفهم بالله وبحدوده وحقوقه وواجباتهم نحو ربهم ودينهم ومجتمعهم وسائر الناس، عَنْ أَبِي

---

[1] - الإسراء 23-24.
[2] - رواه أبو داود وصححه الألباني.

هُرَيْرَةَ أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»[1].

والإحسان مع الفقراء والمحتاجين واليتامى يكون في سد جوعهم، وستر عوراتهم، والمسح على رءوسهم، وإقالة عثراتهم، وقضاء حوائجهم، وصيانة كرامتهم، وعدم التقليل من شأنهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»[2].

وكذلك العدو والمسيء نقدم له الإحسان، ويكون الإحسان إليه بالصبر عليه، والتسامح معه، ونسيان إيذائه، والتغافل عن إساءته، وتحمُّل شرِّه، مع دفع ذلك كله بالغفران وتقديم الخير والمعروف، فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانٌ، يقول

---

[1] - متفق عليه.
[2] - رواه أحمد وصححه الألباني.

تعــــالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾[1].

حتى الحيوان يستحق الإحسان ويكون ذلك بالرفق به، وعدم الإثقال عليه، وإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، حتى عند ذبحه يُحسن إليه بسن الشفرة، والإسراع بالذبح، وعدم ذبح الحيوان أمام حيوانٍ آخر، وعدم سنِّ الشفرة أمام عينيه، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[2].

وأولى ثمرات الإحسان أن العبد يدرك محبة الله ويفوز برضاه، وما أعظمها من ثمرة! وثانيها أن الذين أحسنوا يكونون في معية ربهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم

---

[1] - فصلت 34.
[2] - رواه مسلم.

مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1]، وثالثها أنَّ لهم عند ربهم أجرٌ عظيم، وهم آمنون مطمئنون، لا يخافون ما سيكون، ولا يحزنون على ما كان: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[2]، ورابعها أن الله يحسن إليهم: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[3]، وما أدراك ما إحسان الله! لهم الخلود في جنات النعيم، وفوق ذلك لهم زيادة؛ ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4]، وما أحلاها من زيادة، لما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية قال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا

---

[1] - النحل 128
[2] - سورة البقرة 112.
[3] - الرحمن 60.
[4] - يونس 26.

الجَنَّةَ؟ " قَالَ: «فَيُكْشَفُ الحِجَابُ» قَالَ: «فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»[1] .

---

[1] - رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

٢ـ تُبْ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[1]

هي عودة العبد إلى ربه، تاركًا الذنب متوقفًا عنه في الحال، نادمًا على ما اقترفه، عازمًا عدم العودة إليه مرةً أخرى.

وللتوبة شروط؛ منها كما ذكرنا الإقلاع عن الذنب حالًا؛ فلا يؤجل؛ كأن يكون الرجل عاملًا في بيع الخمور فينوي التوبة آخر الشهر حينما يتحصل على راتبه، وهذا غير مقبول؛ فلعل العمر لا يبقيه لآخر الشهر، ومنها الندم على ما كان منه من ذنبٍ، والعزم على عدم العودة إليه أبدًا، فإن ضعف وعاد تاب مجددًا بالشروط نفسها، فإن ضعف ثانيةً، تاب من جديد، أرأيت إن كان لك قميصٌ أبيض فأصابه وسخ، ستغسله، فإن أصابه وسخٌ ثانيةً، ستغسله ثانيةً، وهكذا، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ،

---

[1] - البقرة 222.

فَقَـالَ : يَـا رَسُـولَ اللهِ، أَحَـدُنَا يُـذْنِبُ، قَـالَ: «يُكْتَـبُ عَلَيْـهِ»، قَـالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْـهُ وَيَتُـوبُ، قَـالَ: «يُغْفَـرُ لَـهُ وَيُتَـابُ عَلَيْـهِ». قَـالَ: فَيَعُـودُ فَيُـذْنِبُ، قَـالَ: «يُكْتَـبُ عَلَيْـهِ». قَـالَ: ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ مِنْـهُ وَيَتُـوبُ، قَـالَ: «يُغْفَـرُ لَـهُ وَيُتَـابُ عَلَيْـهِ وَلا يَمَـلُّ اللهُ حَـتَّى تَمَلُّوا»[1]؛ أي لا يمل من المغفرة حتى تملوا من الاستغفار.

ومن شروط التوبة عدم معاينة الغيبيات؛ فلا تصح توبةٌ عند معاينة الموت أو عند طلوع الشمس من مغربها؛ أي إن التوبة هي ترك الذنب لله مع تمام القدرة على الإتيان به؛ لذلك لم يقبل الله توبة فرعون وهو يغرق: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2].

---

[1] - مسند عقبة بن عامر، قال الهيثمي إسناده حسن وقال ابن حجر العسقلاني حسن صحيح.
[2] - يونس 90-91.

كما يشترط لتمام التوبة من مظالم العباد في مالٍ أو عرضٍ أو نفس التحلل من صاحب الحق إن سامح، أو أداء الحق والقصاص إن رفض.

وثمة لطيفة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[1] وهي أن الله لم يقل التائبين، بل قال التوَّابين، وثمة فارقٌ كبير بين هذه وتلك، فالثانية تُلمح إلى تكرار التوبة مما يُلمح بدوره إلى تكرار وقوع الذنب، وهذا من عظيم رحمة الله بعباده.

والله يفرح بتوبة عبده قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ،أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[2] .

---

[1] - البقرة 222.

[2] - رواه الشيخان واللفظ لمسلم.

وأول ثمرات التوبة بعد إدراك محبة الله إدراك عفوه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[1].

وثانيها أن الله يدخله جنات تجري تحتها الأنهار ولا يخزيه أبدًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[2].

وثالثها أن الله لا يكتفي بالعفو عن سيئاتهم ومحوها، بل إنه يبدلها لهم حسنات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾[3].

ومن طريف ما جاء في باب إبدال السيئات حسنات ما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ

---

[1] - رواه ابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
[2] - التحريم 8.
[3] - الفرقان 70.

أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَيُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ بِمَكَانِ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَهُنَا»، –يقول أبو ذر– فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[1].

والتوبة مندوبة حتى لمن لم يذنب –وليس ثمة من لايذنب– قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[2].

وليست للتوبة صيغة واجبة لازمة، غير أن هناك الكثير من الصيغ المندوبة منها صيغة توبة آدم وحواء لأنها صيغة

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه.
[2] - رواه مسلم.

علمهما الله إياها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[1]، ومنها سيد الاستغفار، عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[2].

---

[1] - الأعراف 23.

[2] صحيح البخاري.

٣-طَهِّر نفسك

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]

وهي النظافة والنزاهة والبراءة والخلوص من الأدناس والأقذار، سواء كانت حسيِّة متعلقة بالبدن والملبس والمكان، أو معنوية متعلقة بالقلوب والأخلاق والسلوك.

أما الطهارة المعنوية فهي طهارة الإنسان من الذنوب والمعاصي وكلِّ ما يغضب الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلاَةِ سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ، قَالَ: «أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ»[2].

---

[1] - سورة البقرة 222.

[2] - متفق عليه واللفظ لمسلم.

أما الطهارة الحسية —وهو بابٌ طويل يتعذر الإلمام به في هذا المقام– فنقول إجمالًا إن الطهارة تنقسم إلى طهارة من الخَبَث وطهارة من الحَدَث.

والخَبَث هو النجاسة المادية التي يجب على المسلم أن يتنزَّه عنها ويغسل ما أصابه منها؛ وهي كالدم والبول والغائط والقيء ونحو ذلك، ويكون التطهُّر منها بغسل ما أصابه منها: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [1].

أما الحدث فينقسم إلى قسمين؛ حدث أصغر وحدث أكبر، أمَّا الأصغر فهو خروج شيء من أحد السبيلين؛ كالبول والبراز والريح، وهو يوجب الوضوء، ويُشترط في الوضوء النية والترتيب، ويبدأ بغسل الكفين، ثم المضمضة ثلاثًا، ثم الاستنشاق والاستنثار ثلاثًا، ثم غسل الوجه ثلاثًا، ثم غسل اليدين حتى المرفقين ثلاثًا، ثم مسح الرأس والأذنين ثلاثًا ثم مسح الرجلين إلى الكعبين ثلاثًا.

---

[1] - المدثر 4.

وإن عُدم الماء جاز التيمم، وهو التماس صعيد طيب؛ أي تراب نظيف، وضربه بالكفين ضربتين، ثم نفض الكفين ومسح الوجه بهما ثم مسح الكفين بعضهما ببعض: «.. إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ»[1]، ويبطل التيمم بالقدرة على الماء.

أما الحدث الأكبر فهو الجنابة، ويكون بالجماع أو التقاء الختانين أو خروج المني في نومٍ أو في يقظة أو الحيض أو النفاس، وذلك يوجب الغسل، ويشترط فيه –كذلك– النية، وتعميم الجسد بالماء، ويبدأ بغسل اليدين ثلاثًا، ثم غسل الفَرْج، ثم الوضوء دون غسل الرجلين وتأخيرهما لنهاية الغسل، ثم تعميم الرأس بالماء ثلاثًا مع تخليل الشعر، ثم تعميم سائر البدن بالماء ابتداءً بالشق الأيمن ثم الشق الأيسر، مع تعاهد الإبطين والأذنين والسرة والمواضع التي لا يبلغها الماء، ثم غسل القدمين عند الخروج من موضع الغسل.

---

[1] - رواه الشيخان، بلفظ مسلم.

ويُجزئ عن هذا كله الغوص في ماءٍ نظيفٍ طهور.

وأول ثمرات الطهارة أنها تجلب محبة الله، وثانيها أنها تعدل نصف الإيمان، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»[1].

وثالثها أن الطهارة تخلص العبد المؤمن من الذنوب وتنقيه من الآثام، وتسقط عنه سيئاته مع آخر قطرة ماء تسقط من وضوئه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ -أَوِ الْمُؤْمِنُ- فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[2].

---

[1] - رواه مسلم.

[2] - رواه مسلم.

ورابعها أنها ترفع درجته يوم القيامة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله! قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1].

وخامسها أن الملائكة تدعو له وتستغفر له، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ فِي شِعَارِهِ لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»[2].

---

[1] - صحيح مسلم.

[2] - رواه الطبراني في معجمه الكبير، وقال الألباني حسن لغيره.

٤ ـ اتق الله

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1]

روي أن عليَّ بن أبي طالب لما سئل عن التقوى قال: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.[2]

وقال رجل لأبي هريرة: ما التقوى؟ قال: أخذتَ طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: كيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.[3]

و قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] قال: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.[5]

---

[1] - آل عمران 76.
[2] - سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي.
[3] - رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى، وأخرجه الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد.
[4] - آل عمران 102.
[5] - المستدرك على الصحيحين، وسنن ابن أبي شيبة.

وقال أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حرامًا، حجابًا بينه وبين الحرام.[1]

وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال؛ مخافة أن نقع في بابٍ من الحرام.[2]

وقال سفيان: عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.[3]

وليس ثمة تعريفٍ للتقوى أفضل من تعريف الله لها: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى

---

[1] - رواه ابن المبارك في الزهد، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في تاريخ دمشق.
[2] - مدارج السالكين لابن القيم.
[3] - الورع لابن أبي الدنيا.

ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]؛ فهي حسب الآية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإنفاق في وجوه الخير رغم الرغبة في المال، على الأقارب والأيتام والمساكين والمسافرين الذين فقدوا أموالهم والفقراء والمحتاجين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر في الفقر، والمرض، والحرب، ويُلاحظ الربط الواضح بين الصدق والتقوى، وكأنَّهما وجهان لعملةٍ واحدة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2]، فعرَّف المتقين بمن يقول الصدق ويصدقه، واقتصر عليه واكتفى به في تقرير التقوى.

وقد وصفهم الله تعالى وصفًا جميلًا إذ قال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ

---

[1] - سورة البقرة 177.
[2] - الزمر 33.

عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1]؛ فهم ينفقون في سبيل الله في الشدة والرخاء، وفي الصحة والمرض، وفي جميع أحوالهم، وهم إذا أثار الناس غضبهم حلموا، وكتموا غضبهم، بل وعفوا عمن أساء إليهم وسامحوه، بل وقدموا إليه الإحسان، ثم يلفتنا الله لفتةً عظيمة، وهي أن المتقين بشرٌ، قد يقترفون ذنبًا، ويأتون معصيةً، قد يقعون في الفاحشة، لكنهم سرعان ما يذكرون الله فيندمون على ما فعلوا، ويستغفرون ربهم، ويهجرون ذنبهم دون إصرارٍ عليه، فالمتقون رغم تقواهم بشرٌ يخطئون، وليسوا ملائكةً معصومين، قد تزل أقدامهم في هوة الذنب، لكنهم أبدًا لا يصرون على ذنبهم، إنما يسارعون إلى التوبة منه، فيقبلهم الله ويقيل عثرتهم، ومن لعثرات العباد إلا الله؟!

[1] - آل عمران 133:135.

وعلى العبد أن يجتهد ليحصِّل التقوى، ومما يعين على ذلك أن يدرك أن الله رقيبٌ عليه، بصيرٌ به، عليمٌ بما يأتي وما يذر؛ فيدرِّب نفسه على مراقبة الله، والاستعانة به بالاستعاذة به من الشيطان وكيده، وقراءة القرآن، والإكثار من المعوذتين، والمداومة على الأذكار، وربط العمل بالجزاء؛ فكلما همَّ بالذنب تذكَّر جزاءه فانثنى عنه، وتذكر قدر من يعصى فأمسك عن المعصية، وتذكر قصر العُمر وأبدية الجزاء، وزوال لذة المعصية وبقاء عاقبتها، وكل هذا يدفع النفس التقية والقلب السليم إلى الإمساك عن الذنب والنفور من المعصية.

والتقوى هي خير زادٍ يتزوَّد به العبد ليحصِّل سعادة الدارين: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، ومتى تزوَّد به العبد أدرك ثماره العظيمة، وأولى هذه الثمار وأعظمها إدراك محبة الله الذي يحب المتقين، وثانيها أنَّ المتقين مستحقون لرحمة الله، يكتبها لهم خاصة: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ

[1] - سورة البقرة 197.

وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1]، قال ابن القيم: فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة[2]، وثالثها أنهم يدركون معية الله وعونه وتأييده وتسديده: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾[3]، ومن كان الله معه فمن يضره؟! ورابعها أن الله يغفر ذنوبه ويكفر عنه سيئاته، وخامسها أنه تعالى يتفضل عليه بالأجر العظيم، وسادسها أنه تعالى يمنح المتقين نورًا يفرقون به بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والهدى والضلال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، وسابعها أنها تفتح أبواب السماوات والأرض بتوسيع الأرزاق والبركة فيها، فيرسل الله السماء

---

[1] - آل عمران 156.
[2] - شفاء العليل.
[3] - النحل 126.
[4] - الأنفال 29.

عليهم مدرارًا، وينبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا نصب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [1]، وثامنها أن المتقين يكونون وفد الرحمن يوم القيامة، وحُقَّ للرحمن أن يكرم وفده: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[2]، وتاسعها أنها تنجيهم من النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾[3]، وعاشرها أنهم يدخلون الجنات التي أعدها الله لهم: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[4].

---

[1] - الأعراف 96.
[2] - مريم 85.
[3] - مريم 71-72.
[4] - آل عمران 133.

وهذه ثمراتٌ قليلة لشجرة التقوى الوارفة المثمرة، فاحرص عليها مادمت حيًّا، واعلم أنَّ أهل القبور لو نطقوا لنصحوا بالتقوى، عن كُمَيل بن زياد قال: خرجت مع علي بن أبي طالب ﷺ فلما أشرف على الجبَّان التفت إلى المقبرة فقال: يا أهل القبور، يا أهل البِلى، يا أهل الوحشة، ما الخبر عندكم؟ فإنَّ الخبر عندنا قد قُسمت الأموال، وأُيتمت الأولاد، واستُبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا؛ فما الخبر عندكم؟ ثم التفت إليَّ فقال: يا كُمَيل لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[1]، ثم بكى وقال: يا كميل، القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر.[2]

---

[1] - سورة البقرة 197.
[2] - رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

٥ـ اصبر

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]

الإيمان شطران؛ صبرٌ وشكر، والصبر من العزائم التي لا غنى عنها: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[2]، والصبر هو حبس النفس ومنعها عما لا يرضي الله وإلزامها بما فيه رضاه، وأكثر الدين يقوم على الصبر؛ فالصوم صبرٌ عن الطعام والشراب والزوج، والعفة صبرٌ عن الفواحش، وصبرٌ عن سؤال الناس، والزهد صبرٌ عن فضول العيش، وحسن الخلق صبرٌ على أذى الناس، والحلم صبرٌ عن الغضب، والقناعة صبرٌ ورضا بما قسمه الله، وينقسم الصبر إلى صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على الابتلاءات؛ أمَّا الصبر على الطاعات فيكون بإرغام النفس على الائتمار بما أمر الله، وإلزامها بالسير في سبيله، وتحبيبها في الفضائل، وتزيينها لها،

---

[1] - آل عمران 146.
[2] - لقمان 17.

وحثها على بذل مزيدٍ من الجهد لتحصيل مزيدٍ من الأجر، والمداومة على فعل الخيرات، ويكون ذلك بدفع الفتور والملل والكسل عنها؛ بتجديد النية، وتنشيط الهمة، وبالتنويع بين أبواب الخير، وبقرن العمل بالنتيجة، وتذكُّر النعيم الدائم والسعادة الأبدية في جنات الخلد، والتي لا تُقارن بحالٍ من الأحوال بلذة الكسل عن الطاعات –إن كان لذلك لذة–!

وأمَّا الصبر عن المعصية فإنه يكون بالانتهاء عما نهى الله، وبزجر النفس عن الرذائل، وكبح جماحها، وجهادها في ترك ما يبغض الله، والامتناع عما حرَّم، وتذكُّر سخط الله، وعذاب جهنم، وحرَّها، ولهيبها، والخلود فيها، أعاذنا الله وإياكم منها.

أمَّا الصبر على الابتلاءات، فيكون بالرضا بما قسمه الله، واحتساب الأجر، والاستسلام لقضاء الله وقدره، ومنع النفس عن الجزع والشكوى، والتأدب مع الله عند وقوع المصيبة، وأفضل مقامات الصبر الصبر الجميل؛ وهو الصبر الذي لا

شكوى معه، قال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه[1]، والصبر على الابتلاء يكون عند الصدمة الأولى، قال رسول الله ﷺ: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[2]؛ ويكون الصبر بحمد الله على ما أنزل من بلاء والاسترجاع؛ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلاَّ أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»[3].

ولا يُندب الدعاء بالصبر في جميع الأحوال؛ كدعاء الآباء بالصبر على عقوق الأبناء، والأولى أن يمارسوا الصبر مع الدعاء للأبناء بالهداية، وكذلك دعاء الفقراء بالصبر على الفقر، والأولى أن يمارسوا الصبر مع الدعاء بصرف الفقر عنهم وتحقيق الغنى واليسر، فالدعاء بدفع الضرر أولى من الدعاء

[1] - تفسير ابن كثير.
[2] - رواه الشيخان.
[3] - صحيح مسلم.

بالصبر عليه، وكذلك لا بأس من التأسِّي بصبر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على البلاء، دون التأسِّي بصبره عن الدعاء، بل الأولى أن ندعو الله أن يكشف البلاء متى وقع، ويرفع الضر متى حل، وأن نسأله العافية في الأمور كلها، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ»[1]، وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَقُولُ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[2]، وكذلك كان يدعو لنفسه إذا أصابه ضرٌّ؛ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ - قَالَتْ - حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا..[3]. وفي هذا دليلٌ على ندب الدعاء عند الابتلاء، ولو

---

[1] - رواه الشيخان، واللفظ لمسلم.
[2] - رواه الشيخان واللفظ لمسلم.
[3] - رواه مسلم.

كـان الـترك أولى لتركـه رسـول الله ﷺ، ثم إنَّ في قولهـا: ثُمَّ دَعَـا ثُمَّ دَعَـا، نـدبًا لاستحباب الـدعاء عنـد وقـوع المكروهـات، بـل وتكرير الدعاء والإلحاح فيه.

ولا يتعـارض هـذا مـع تـرك الـدعاء لمـن وجـد في نفسـه الطاقـة علـى الصـبر والتحمـل طلبًـا للأجـر كمـا فعـل نـبي الله أيوب، وكما رُوي عن رسول الله ﷺ؛ فعن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قُلْتُ بَلَى، قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ إِنِّى أُصْرَعُ وَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِى. قَالَ «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قَالَـتْ أَصْبِرُ. قَالَـتْ فَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا[1].

وقـد استنبط ابـن حجـر في شـرح البـاري: أن الصـبر علـى بلايا الـدنيا يـورث الجنـة، وأن الأخـذ بالشـدة أفضـل مـن الأخـذ بالرخصـة لمـن علـم مـن نفسـه الطاقـة ولم يضـعف عـن التـزام

---

[1] - رواه الشيخان.

الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير[1].

وقد ترك رسول الله ﷺ الخيارين للمرأة، وبينهما لها، ثم تركها تختار ما تراه يناسبها، ثم إن رسول الله ﷺ وإن لم يدعُ لها وطالبها بالصبر، فهو لم ينهها عن الدعاء لنفسها، وربما كان مقصوده من ذلك أن يترك العبد طلب الدعاء من غيره؛ لأن في ذلك افتقارًا لغيره، وإنما يجب أن يكون افتقار العبد لله وحده؛ بأن يدعو الإنسان بنفسه لنفسه دون وساطة.

وأولى ثمرات الصبر إدراك محبة الله التي تتحقق للصابرين، وثانيها أن العبد يكون في معية الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، ومن كان الله معه فمن يكون عليه؟ ومن كان الله ناصره فممَ يكون خوفه؟

---

[1] - فتح الباري.
[2] - سورة البقرة 153.

ثالثها أن الله يرزقه خصال الخير: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1] ، ثم إنه تعالى يصف الصبر بالحظ العظيم، فهو رزقٌ لا يساويه رزق، وفضلٌ لا يدانيه فضل.

رابعها تمكين الله لهم في الدنيا فيورثهم الأرض بصبرهم: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾[2]، وكذلك يجعلهم أئمة وقادة وهداة للناس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾[3].

وخامسها أن الله يبشرهم بالرحمة والمغفرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾[4].

---

[1] - فصلت 35.
[2] - الأعراف 137.
[3] - السجدة 24.
[4] - سورة البقرة 155:157.

وسادسها أن لهم أجرًا كبيرًا يوم القيامة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[1]، ثم إنهم ينالون هذا الأجر الكبير والفضل العظيم دون حسابٍ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[2]، قال قتادة: لا والله ما هُناكم مكيال ولا ميزان[3].

وسابعها أن الله يضاعف لهم الأجر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[4].

وثامنها أن لهم الجنة: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ»[5].

ولكل هذه الثمرات –وغيرها– قال رسول الله ﷺ: «...وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[6].

---

[1] - هود 11.
[2] - الزمر 10.
[3] - تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن.
[4] - القصص 54.
[5] - رواه الشيخان.
[6] - رواه الشيخان واللفظ لمسلم.

٦- توكل على الله

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1]

وهو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المنافع، ودفع المضار، والاستعانة به وتفويضه في قضاء كل أمور الدنيا والآخرة، مع السعي الدءوب والعمل الجاد والأخذ بالأسباب وإلا صار تواكلًا.

قال ابن حجر: وليس المراد به ترك التسبب، والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين؛ لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل، وقد سُئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجلٌ جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وقال: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر

---

[1] - آل عمران 159.



أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون.[1]

ويتحقق التوكل بأن يؤمن العبد أن قدر الله نافذ لا محالة، وأن كل ما يأتيه من الله هو خيرٌ له، وأنه تعالى قد اختار له الأفضل: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2]، وكذلك بالأخذ بالأسباب حتى وإن كانت ضعيفة ولا تصلح في نظر صاحبها؛ فإذا كان أصحاب القوة لا يستطيعون إنزال التمر من فوق النخلة بهزها، فكيف بامرأةٍ أوهنها الوضع، لكن الله تعالى يأمرها بعمل ما في وسعها مهما كان بسيطًا، فلما أخذت بالأسباب أطعمها الله الذي كان يقدر أن يطعمها ابتداءً، لكنه تعالى أراد أن يعلمها –ويعلمنا معها– قيمة الأخذ بالأسباب: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[3].

---

[1] - فتح الباري، والحديثين صحيحين بلفظٍ آخر.
[2] - التوبة 51.
[3] - مريم 25.

ولحسن التوكل على الله ثمارٌ عظيمة وفضائل جمة، أولها أن المتوكلين عليه ينالون محبته، ثانيها أن توكلهم يحميهم من الشيطان ويبطل أي سلطانٍ له عليهم: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]؛ فهم في حفظ الله ورعايته وحمايته من سلطان الشيطان الرجيم.

ثالثها أن حماية الله لا تكون فقط من الشيطان، إنما يكون الله وكيل العبد فيكفيه ويغنيه عن سواه، ويحقق له مبتغاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[2].

رابعها الحصول على الرزق الكثير والخير الوفير؛ عن عُمَر، قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا[3] وَتَرُوحُ بِطَانًا[4]»[5].

[1] ـ النحل 99.
[2] ـ الطلاق 3.
[3] ـ خماصًا: ضامرة البطون من الجوع.
[4] ـ بطانًا: ممتلئة البطون من الشبع.
[5] ـ رواه الترمذي في سننه وصححه الألباني.

خامسها أن التوكل يورث صاحبه السلامة من كل سوء، والنجاة من كل ضر، حتى لو جمع له الناس جموعهم ما مسوه بسوء: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[1]، وفوق حمايتهم من السوء عادوا بالنعمة والفضل من الله.

سادسها الجنة، يتبوءون منها غرفًا تجرى من تحتها الأنهار: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

وسابعها أنهم لا يدخلون الجنة كغيرهم، إنما يكونون ممن يدخلها بغير حسابٍ ولا سابقة عذاب، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ

[1] - آل عمران 173-174.
[2] - سورة العنكبوت 58-59.

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ[1]، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ[2]، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ[3]، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ

---

[1] - روي أن الرقى المقصودة هي الرقى المجهولة، أما الرقى الشرعية فلا بأس بها.

[2] - لا يطلبون الرقية من أحد، وقيل إنها الرقى غير الشرعية، وقيل ولا حتى الرقية الشرعية يطلبونها من أحد؛ لكمال توكلهم على الله.

[3] - لا يتطيَّرون: الطيرة هي التشاؤم..

أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

والتوكل من أعظم العبادات فقد تكرر أمر الله بها للمؤمنين سبع مرات بصيغة واحدة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، ويلاحظ القصر بتقديم ما حقه التأخير، وهو يفيد التخصيص والتوكيد، فلا توكُّل إلا على الله، ولا يجوز أن يتوكل العبد على غير الله، ولا أن يقول لأحدٍ: أتوكَّل على الله ثم عليك، فهذا منهيٌّ عنه، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[3].

---

[1] - متفقٌ عليه.

[2] - آل عمران 122/ آل عمران 160/ المائدة 109/ التوبة 51/ إبراهيم 11/ المجادلة 10/ التغابن 13.

[3] - الإسراء 2.

٧ـ أقسط

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[1]

والقسط من ألفاظ الأضداد في اللغة العربية؛ إذ يعني العدل والإنصاف، ويعني الظلم والجور، والفعل أقسط معناه عدل وأنصف، ومنه المقسط؛ أي العادل المنصف، وهو من يحبه الله، والفعل قَسَطَ يعني ظلم وجار، ومنه القاسط؛ أي الظالم الجائر، وهو مبغوضٌ من الله، معاقبٌ بظلمه: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾[2].

والقسط الذي هو العدل هو غاية من أهم غايات الله في تشريع الرسالات وإرسال الرسل: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[3]، فإقرار القسط بين الناس هو هدف أسمى وغاية

---

[1] - المائدة 42.

[2] - الجن 15.

[3] - الحديد 25.

أصيلة تتنزَّل الأديان من أجله، ويرسل الله الأنبياء لإقرار القسط في الأرض بين جميع الناس، حتى وإن لم يقروا له بالوحدانية ويفردوه بالعبودية.

والله تعالى يأمر بالقسط والعدل، وينهى عن الظلم والبغي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾[1]، ويشدِّد الله على الأمر بإقرار العدل والقسط، وإيتاء أصحاب الحقوق حقوقهم، حتى ولو كان بيننا وبينهم عداوة وبغض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[2]، فالعدالة لها وجهٌ واحد فقط، لا تفرق بين الأعداء والأولياء، فلا تحمل الكراهية أحدًا أن يظلم من يكرههم ويبغضهم ولا يحكم لهم بالحق إن كان في صفهم،

---

[1] - النحل 90.
[2] - المائدة 8.

ولا تدفع المحبة أحدًا أن يحكم لمن يحبهم بما ليس لهم؛ فلا يُسمَّى العادلُ عادلًا حتى يحكم على أحبائه وأوليائه حكمه على غيرهم؛ عَنَ عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ؛ حِبُّ[1] رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[2].

وفي الحديث تصريحٌ قاطع بأن العدالة لا تفرِّق بين أحدٍ، بل إن فيه إشارة واضحة إلى استحباب معاقبة الولي لمن تحته؛ فالنبي ﷺ يقسم على إقامة الحد على ابنته بنفسه إن اخطأت.

---

[1] - الحِبُّ هو الحبيب، وكان أسامة بن زيد الحِبَّ بن الحِبِّ؛ أي الحبيب بن الحبيب.

[2] - صحيح مسلم.

وعلى نفس قدر اهتمام الشرع بإقرار العدل اهتم بالنهي عن الظلم وتحريمه أشد التحريم؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلاَ تَظَالَمُوا..»[1]، وكذلك أطال النبي الكريم ﷺ النفس في التحذير من الظلم وعاقبته؛ وقد حذَّر ﷺ معاذًا قائلًا: «.. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[2].

ويكون عدل الإنسان مع نفسه بأن يقودها إلى توحيد الله وفعل الخيرات واجتناب الآثام والمنكرات وأولها الشرك بالله؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3].

ويكون العدل مع الزوجة بإعطائها حقوقها، وما يلزمها، وإن تعددت الزوجات فالعدل يكون في كل شيءٍ كالطعام والشراب وسائر النفقات، والاهتمام وحسن المعاملة، وحسن

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - متفق عليه.
[3] - لقمان 13.

المعاشرة، عن ابن عباس قال : إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] [2].

والعدل مع الأبناء يكون بتوفير سبل العيش الكريم لهم، وتعليمهم وتربيتهم، وغرس الأخلاق فيهم، وتعريفهم بحقوق الله وحقوق العباد، وتدريبهم على إيتاء كل ذي حقٍّ حقه، وتوزيع المحبة والنفقات عليهم جميعًا دون تفضيل أحدهم على الآخرين بمالٍ أو معاملةٍ أو غيره.

والعدل مع الناس يكون بإيتاء كل ذي حقٍّ حقه، وعدم إنقاص الناس حقوقهم، دون النظر إلى قدورهم ومكانتهم، أو إلى محل قرابتهم، أو إلى محبتهم وبغضهم.

وللقسط والعدل ثمارٌ عظيمة، وفضائل جليلة لا حصر لها، أولها إدراك محبة الله؛ فالمقسطين العادلين يحبهم الله.

---

[1] - سورة البقرة 228.

[2] - سنن البيهقي الكبرى، ومصنف ابن أبي شيبة.

وثانيها أن العدل يقرِّب صاحبه من درجة التقوى: ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[1].

ثالثها أن العدل يفك قيد صاحبه يوم القيامة؛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ»[2].

ورابعها أنه يجعل صاحبه في مأمنٍ من شمس يوم القيامة وحرِّها، وتجعله تحت ظل عرش الرحمن؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ»[3].

---

[1] - المائدة 8.
[2] - رواه أحمد وصححه الألباني.
[3] - متفق عليه.

وخامسها أن الله تعالى يرفع أهل العدل يوم القيامة ويجعلهم في مقام تشريفٍ وتعظيم؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ[1]، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[2].

وسادسها أن الجنة هي الجزاء الأوفى لكل صاحب سلطة عادل مقسط؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»[3].

[1] - كلتا يديه يمين - وإن سميت إحداهما شمالًا - أي: ذات يمن وبركة، وأنهما متصفتان بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، بخلاف حال المخلوقين الذي تنقص يد أحدهم عن الأخرى في الشرف والقوة والكمال.

[2] - رواه مسلم.

[3] - رواه مسلم.

٨- لا تخرج عن الصف

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1]

قال قتادة: ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحبُّ أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به[2].

ووحدة الصف هي العنصر الأهم في قيام أية أمة، في حربها وسلمها، في رخائها وشدتها، وفي سائر أحوالها؛ لذلك حرص الله تعالى على التنبيه على وحدة الأمة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3]، فبدأ بالتنبيه على وحدة هذه الأمة قبل أن يثني بالأمر بعبادته، ثم بيَّن الله

---

[1] - الصف 4.
[2] - تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير.
[3] الأنبياء 92.

تعالى سبل إدراك تلك الوحدة، وهي باتباع مبادئ ذلك الدين القويم حتى صار مفهوم الوحدة مرتبطًا أشد الارتباط مع عبادته والتزام منهجه: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا** ﴾[1]، فلا تأليف بين عدوين إلا بفكرةٍ يؤمنان بها، وعقيدةٍ يتحدان حولها، فإن وجدت تآلفت قلوبهم واتحدت، وقويت شوكتهم وعزوا على أعدائهم، روى الطبري أن المهلب بن أبي صفرة لما حضرته الوفاة دعا ابنه حبيبًا ومن حضره من ولده، ودعا بسهام فحُزمت، وقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم؛ قال: فهكذا الجماعة.[2]

ولذلك لم يفت رسول الله ﷺ أن ينبه على أن المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد يتأثر بعضه ببعضه، ويشد بعضه

---

[1] - آل عمران 103.

[2] - تاريخ الرسل والملوك.

بعضًا؛ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُـؤْمِنِينَ فِى تَـوَادِّهِمْ وَتَـرَاحُمِهِمْ وَتَعَـاطُفِهِمْ مَثَـلُ الْجَسَـدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، فرسول الإسلام ﷺ يلفتنا دائمًا إلى أننا وحدة واحدة، جسد واحد، بنيان واحد؛ عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُـؤْمِنِ كَالْبُنْيَـانِ يَشُـدُّ بَعْضُـهُ بَعْضًـا» وشبَّك بين أصابعه[2]، فبالأخ يتقوى أخوه، وبالمؤمن يشتد ظهر المؤمن، وعلى سواعد أبنائها تنهض الأمة ويعلو شأنها؛ ذلك لأن الله يكون مع الصف المجتمع؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[3]، أما مفارق الجماعة، المنشق عن الصف فهو في خطرٍ عظيم: «فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[4]، فالشيطان إذا وجد البنيان مرصوصًا نكص على عقبيه، وإذا وجد به ثغرة عمل على هدمه منها.

---

[1] - متفق عليه.
[2] - رواه الشيخان.
[3] - رواه الترمذي وصححه الألباني.
[4] - رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

ووحدة الصف لها عظيم الثمار التي يجنيها العبد المؤمن؛ أولها أنها تجلب لصاحبها محبة الله، ثانيها أنه تعالى يرضى عنه؛ إذ يلتزم العبد ما يرضاه الله له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[1].

ثالثها أنها تعود على صاحبها بالبركة، عَنْ سَلْمَان الفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَرَكَةُ فِي ثَلاَثَةٍ: فِي الْجَمَاعَةِ ، وَالثَّرِيدِ، وَالسَّحُورِ»[2].

رابعها أنها تطهر قلب المسلم من الخيانة؛ عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَضَّرَ[3] اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهٍ[4]، وَرُبَّ حَامِلِ

[1] - رواه مسلم.
[2] - رواه الطبراني، وقال الألباني: حسن لغيره.
[3] - دعاء بالنضارة؛ أي النعيم والسرور.
[4] - أي ربما يكون المحدِّث غير فقيه.

الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ[1]: ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ[2] عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ ﷻ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[3].

وخامسها أنها تقي العبد المؤمن شرور الدنيا، فَعَنْ حُذَيفَةَ بَنِ اليَمَانِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ

---

[1] - أي ربما ينقله المحدِّث إلى من هو أفقه منه فيستنبط منه الأحكام على وجهها الأمثل.
[2] - أي لا يخون.
[3] - رواه أحمد وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة.

جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ. قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته وإن فسق، وعمل المعاصي[2].

وسادسها أنَّ للمتمسكين بوحدة الصف والجماعة بحبوحة الجنة؛ والبحبوحة من كل شيءٍ هي وسطه وخياره؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْجَابِيَةِ[3] فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامِي فِيكُمُ الْيَوْمَ، فَقَالَ: «أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ

---

[1] - رواه البخاري ومسلم.
[2] - صحيح مسلم بشرح النووي.
[3] - موضع بسوريا.

الرَّجُلُ عَلَى الشَّـهَادَةِ لاَ يُسْأَلُهَا، وَحَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ الْيَمِينَ لاَ يُسْأَلُهَا، فَمَنْ أَرَادَ بَحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ، مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّـيْطَانَ ثَالِثُهُمَـا، وَمَـنْ سَـرَّتْهُ حَسَـنَتُهُ وَسَـاءَتْهُ سَـيِّئَتُهُ فَـهُـوَ مُؤْمِنٌ» [1].

[1] ـ رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

٩ـ اعفُ

«إِنَّ اللهَ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ»[1]

والعفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، بل ونسيانه بالكلية، تقول العرب عفت الريح الأثر؛ أي أزالته، وبالعفو يتصف الله ويتسمَّى؛ العَفُوَّ، وبالعفو يأمر الله عباده وعليه يحثهم: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾[2]، والعفو أن تسامح من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتحسن إلى من أساء إليك.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة، حتى خاض في عائشة رضي الله عنها مع من خاضوا في حادثة الإفك فأقسم أبو بكر ألا ينفق على مسطح بعدها، فنزل القرآن يدعوه إلى العفو وعدم قطع النفقة، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى

1 - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، وحسنه الألباني.
2 - سورة البقرة 109.

مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا.[2]

والعفو خلق الأنبياء والمرسلين، يعفون عمن أساء إليهم، ويسامحون من آذاهم، قَالَ عَبْدُ اللهِ[3]: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللهمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[4].

وقد وجَّه رسول الله ﷺ المؤمنين إلى الأخذ بالعفو في الحدود قبل المقاضاة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ

---

[1] - النور 22.
[2] - رواه البخاري.
[3] - عبد الله بن مسعود.
[4] - صحيح البخاري.

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ»[1]، وكان ﷺ يدعو دائمًا إلى العفو والإحسان، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[2].

ولا حدود للعفو في الإسلام، بل إن طول العفو مندوبٌ مادام الإنسان قادرًا، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ، فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: «اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[3].

وكان ﷺ -إذ يدعو إلى العفو- مثالًا له ونموذجًا يُحتذى في العفو والمسامحة مهما وجد، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

[1] - أخرجه النسائي والبيهقي، وصححه الألباني.
[2] - رواه أحمد، وصححه الألباني.
[3] - رواه أبو داود في سننه، وصححه الألباني.

هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[1]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[2]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[3].

---

[1] - والمقصود بقرن الثعالب هو قرن المنازل، الميقات المعروف، ميقات أهل نجد الذي يمر عليه من أتى من الطائف.

[2] - الأخشبان هما الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ العظيم.

[3] - رواه الشيخان.

على أن العفو لا يكون إلا عند المقدرة، والمقدرة شقَّان؛ شقٌّ يتعلَّق بقوة الشخص على ردِّ الإساءة بالإساءة، ومقابلة الظلم بمثله، لكنه يلتزم العفو تقرُّبًا من الله، وإرضاءً له، وإذا فقد تلك القوة لا يسمَّى عفوًا، وإنما يسمَّى ضعفًا.

أمَّا الشقُّ الآخر فيتعلَّق بقوة الشخص على تحمَّل الإساءة والظلم، والعفو عن صاحبهما لله، أمَّا إن افتقد تلك القوة فقد صار عفوه ذلًّا نهى عنه رسول الله ﷺ؛ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ»[1]، وفي الحديث إشارة صريحة لعدم العفو إن كان الأمر لا يُحتمل العفو فيه؛ كأن يتحمل الإنسان الإهانات المستمرة، والإساءات المتكررة مدَّعيًا أن الإسلام يأمر بالعفو والصفح، لكنه لابد أن يذكر أن العفو لا يمنع من الأخذ على أيدي المعتدي، والقصاص منه إذا لم يرده العفو إلى رشده،

[1] - رواه أحمد، وابن ماجة، والترمذي، وصححه الألباني.

وجاز هنا أن يكون العفو بالقلب، والقصاص بالجوارح، ولا يكون القصاص انتقامًا، إنما يكون ردعًا للظالم عن ظلمه، وهو نصرة له وحق من حقوقه؛ عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[1]، وفي رواية: «تَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»[2].

وللعفو ثمراتٌ عظيمة يجنيها العبد المؤمن العفُوُّ؛ أوَّلها إدراك حب الله تعالى الذي يحب العفو وأهله.

ثانيها أن العفو يورث صاحبه عزًّا وكرامةً وقوةً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»[3].

---

[1] - رواه البخاري.
[2] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.
[3] - صحيح مسلم.

ثالثها أنه يقرِّب العبد من مقام التقوى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[1].

رابعها أن من عفا وأصلح فأجره على الله، ومادام الأجر على الله فهو على قدر الله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2].

خامسها أن العفو عن الناس يوجب عفو الله ومغفرته ورحمته: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾[3]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مِنْبَرِهِ يَقُولُ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرْ اللَّهُ لَكُمْ»[4].

وسادسها أن له الجنة التي أعدها الله للكاظمين الغيظ، والعافين عن االناس، والمحسنين إليهم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ

---

[1] - سورة البقرة 237.
[2] - الشورى 40.
[3] - النور 22.
[4] - رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1].

وسابعها أنهم إذا دخلوا الجنة خيَّرهم الله على أعين الخلائق أي الحور يشاءون، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ»[2].

[1] - آل عمران 133-134.
[2] - رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وقال الألباني حسنٌ لغيره.

١٠-ترَفّق

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[1]

قال ابن حجر: هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[2].

والرفق واللين رزقٌ ورحمة من الله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾[3]، فالرفق من الله، واللين من عند الله، والله تعالى يأمر بهما ويحث عليهما: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4]، فبلين الجانب تتآلف القلوب، وتتقارب النفوس، وبغيرهما تتنافر وتنفض من حول من يعنفها ويغلظ عليها: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[5]، فالفظاظة وغلظة القلب والقسوة والشدة تصنع العداوة،

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - فتح الباري.
[3] - آل عمران 159.
[4] - الشعراء 215.
[5] - آل عمران 159.

وتشـين صـاحبها، وتبعـد عنـه أحبـاءه، أمـا الرفـق فهـو يؤلـف القلوب حـول صـاحبه، ويزين أخلاقه ومعاملاته: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

والرفق يكون في كل شيء، ومع كل الناس، فيكون مع الأهـل بلـين الجانـب، وطيـب المعاملـة، والإحسـان في القـول، وتجنُّب العنف في القول والفعل؛ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ شَـيْئًا قَـطُّ بِيَـدِهِ، وَلاَ امْـرَأَةً، وَلاَ خَـادِمًـا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِـدَ فِى سَـبِيلِ اللهِ، وَمَـا نِيـلَ مِنْـهُ شَـىْءٌ قَـطُّ فَيَنْـتَقِمَ مِـنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَىْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ ﷻ.[2]

ويكـون الرفـق مـع الأطفـال بـالحنوّ علـيهم، والتلطـف معهم، والصبر عليهم، وتحمُّلهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - صحيح مسلم.

وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي[1]، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[2].

والرفق مع الخادم يكون بالإحسان إليه، والتواضع معه، ومعاملته كأهل البيت، وعدم تعنيفه بسببٍ وبغير سبب، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا.[3]

---

[1] - ارتحله أي ركب ظهره.
[2] - رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني.
[3] - رواه مسلم.

والرفق مع الجاهل يكون بالصبر في تعليمه، والتواضع له، وعدم زجره، أو الإغلاظ له، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي[1] وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[2].

قال القفال في فتاويه: كان الربيع[3] بطيء الفهم، فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم، وقام من المجلس حياءً فدعاه الشافعي في خلوة وكرر عليه حتى فهم،

---

[1] - أي انتهرني.
[2] - رواه مسلم.
[3] - الربيع بن سليمان.

وقال له يومًا: يا ربيع، لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك.[1]

والرفق بالحيوان يكون برحمته، وإحسان معاملته، وإطعامه إن جاع، وسقياه إن ظمأ، ومداوته إن مرض، وعدم إيذائه واللهو به، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا[2].

والرفق يكون حتى مع الأعداء، يقول تعالى لنبييه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾[3]؛ يأمرهما أن يذهبا إلى الطاغية فرعون ويقولا له قولًا لينًا، وكأنه تعالى يلفتنا إلى أن الرفق

---

[1] - طبقات الشافعية للسبكي.

[2] - رواه مسلم.

[3] - طه 43-44.

مفتــاح القلــوب، واللــين دواء النفــوس، ولا ســبيل للإصــلاح بسيف العنف والشدة والغلظة.

ولا يُفهم من ذلك أن الشدة والغلظة منهيٌّ عنها، لكن لكلٍّ مقامه، قال سفيان الثوري لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ هو أن تضع الأمور مواضعها؛ الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه[1]، ولذلك كان الأمر من الله بالغلظة لمن يستحقها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

وللرفق ثمارٌ عظيمة أعظمها أن الله يحب الرفق، ويحب أهله، ثانيها أن الله يكون رفيقًا بأهل الرفق، بذلك دعا رسول الله ﷺ، ودعاؤه مستجاب: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[3].

---

[1] - فيض القدير للمناوي.
[2] - التوبة 73.
[3] - رواه مسلم.

ثالثها أنه الله تعالى يرزق أهل الرفق أجرًا على رفقهم، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[1].

ورابعها أن الرفق ملازمٌ للخير؛ فمن حاز الرفق حاز الخير، ومن فقد الرفق فقد الخير، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»[2]، وإذا أراد الله الخير بأهل بيتٍ قذف الرفق في قلوبهم، ونزع العنف، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي؛ فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ»[3].

وخامسها أن صاحب الرفق ينظر الله إليه بعين الرضا، ويمد له يد العون، ويفتح له أبواب المساعدة قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني.
[3] - رواه أحمد وصححه الألباني.

«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَاهُ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ»[1].

وسادسها أن الرفق حتى مع الحيوانات يكون سببًا في نيل مغفرة الله وعفوه رغم كثرة الذنوب والمعاصي والآثام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ[2] قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[3]، فَاسْتَقَتْ لَهُ، بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[4].

---

[1] - رواه الطبراني، وقال الألباني صحيح لغيره.
[2] - بئر.
[3] - نعلها.
[4] - رواه الشيخان.

١١ـ الحمد لله

«أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْمَحَامِدَ»[1]

الحمد هو شكر الله على نعمه الوفيره، ومننه الكثيرة، ويكون ذلك بالقلب واللسان والجوارح، أما القلب فيكون حمده لله بالرضا بما قسمه، وعدم السخط فيه، وأمَّا اللسان فيكون بإظهار الرضا عن الله والنطق به، وأمَّا بالجوارح فيكون باستخدامها فيما يرضي الله، والتوقي من الاستعانة بها فيما يغضبه.

وحمد الله وشكره هو أفضل الدعاء، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ للهِ»[2]، وقد اصطفى الله الحمد لأهل الدنيا، ليرفع درجاتهم، ويثقِّل موازينهم، ويحط سيئاتهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا

---

[1] ـ رواه النسائي، وصححه الألباني.

[2] ـ المستدرك على الصحيحين، وحسنه الألباني.

اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَ لَهُ بِهَا ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»[1]، فكأن الحمد أعلى قدرًا وأفر حظًّا مما سواه.

وكما اصطفاه الله لأهل الدنيا اصطفاه لأهل جنته، تلهج به نفوسهم، وتنطق به قلوبهم، ولا يُصرفون عنه طرفة عين، يوم يستقرون في جنَّاتهم، ويخلدون في نعيمهم، ويجدون ما يشتهون، ويُرزقون ما يدَّعون: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2]، وحمد أهل الجنة إلهامٌ من الله، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «...يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ»[3].

---

[1] - رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني.
[2] - يونس 10.
[3] - رواه مسلم.

وأول مراتب شكر الله وحمده الاعتراف بنعمته، عَنْ زَيْدِ ابْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِى إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1]، فالحمد والشكر من العبادات التي يغفل عنها العباد؛ لذلك قليلٌ من يحرصون عليها ويداومون: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2]، وثاني مراتب الحمد والشكر ألا يكونا قولًا فقط دون الفعل، بل إن الشكر بالعمل أرجى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[3]، فالعمل شكر؛ فيكون شكرنا وحمدنا لله بتسخير نعمه الكثيرة في طاعته، وفيما يحبه ويرضاه.

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - سبأ 13.
[3] - الآية نفسها.

وللحمد ثمراتٌ عظيمة يجنيها الحامدون الشاكرون؛ أولها إدراك محبة الله الذي يحب المحامد وأهلها.

ثانيها أن نصف إيمان العبد يتحقق بالصبر على اختبار الله وابتلائه، والنصف الآخر يتحقق بحمد الله وشكره على نعمائه: عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

ثالثها أن حمد الله وشكره يجلبان رضا الله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[2]، والله يحب أن يحمد على كل شيءٍ مهما كان بسيطًا، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[3]، وكان رسول الله ﷺ إذا ما سرَّه أمرٌ

---

[1] - صحيح مسلم.
[2] - الزمر7.
[3] - رواه مسلم.

أسرع بالسجود لله يحمده ويشكره على نعمه، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ، أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلهِ[1]، وكان ﷺ دائم الشكر لله في كل حال؛ في السراء والضراء، فيما يحب وما يكره: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[2].

رابعها أن كل شكرٍ تقابله زيادة؛ شكر النعم يزيدها، شكر الرحمة يزيدها، شكر الفضل يزيده: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، وحمد النعمة أفضل من النعمة نفسها، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ»[4].

---

[1] - رواه أبو داود في سننه، وصححه الألباني.
[2] - رواه ابن ماجة، وصححه الألباني.
[3] - إبراهيم 7.
[4] - رواه الطبراني، وصححه الألباني.

خامسـها أن الحمـد والشـكر يـدفعان عـذاب الله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[1].

وسادسـها أن الحمـد سـبب لمغفـرة الله تعـالى، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «إِذَا قَـالَ الإِمَـامُ سَمِـعَ اللهُ لِمَـنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا اللَّهُـمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَـوْلَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

وسابعها أن الله وعدهم أن يجزيهم يوم القيامة جزاءً يليق بشكرهم: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[3].

وثامنهـا أن الأجـور تتضـاعف بالحمـد: عَـنْ أَبِي أُمَامَـةَ الْبَـاهِلِيِّ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ مَرَّ بِـهِ وَهُـوَ يُحَرِّكُ شَـفَتَيْهِ ، فَقَـالَ: «مَـاذَا تَقُـولُ يَـا أَبَـا أُمَامَـةَ؟» قَـالَ: أَذْكُرُ رَبِّي، قَـالَ: «أَلَا أَدُلُّـكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللهَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَـارِ؟ أَنْ تَقُـولَ:

---

[1] - النساء 147.
[2] - متفق عليه.
[3] - آل عمران 144.

الْحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ للهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَالْحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ للهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ اللهَ مِثْلَهُنَّ، تَعَلَّمْهُنَّ وعَلِّمْهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ»[1].

وتاسعها أن الحمد يملأ الميزان يوم القيامة: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»[2].

وعاشرها أن الله تعالى عظَّم أجر الحامدين، وجعل لهم بيتًا في الجنة أسماه بيت الحمد: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ،

---

[1] - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني

[2] - صحيح مسلم.

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»[1].

---

[1] ـ رواه الترمذي، وصححه الألباني.

١٢-حسّن أخلاقك

«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1]

ويُطلق على طلاقة الوجه، ولين القول، وكف الأذى، وبذل المعروف، والعفو عمن ظلم، وإيتاء من حرم، ووصل من قطع، وحسن الخلق هو لبُّ الإسلام وملاك الأمر فيه، وقد بعث الله رسوله ﷺ لإرساء قواعد الخلق الحسن على الأرض، ولنشر مكارم الأخلاق بين الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»[2].

وبحسن الخلق امتدح الله نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

وبحسن الخلق كان رسول الله ﷺ يدعو، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَبَّرَ

---

[1] - رواه ابن حبان، وصححه الألباني.
[2] - رواه البيهقي، وصححه الألباني.
[3] - القلم 4.

ثُمَّ قَالَ: «... وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ..[1]»، ومن سوء الخلق كان ﷺ يستعيذ: عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ»[2] ؛ أي أعوذ بك من منكرات الأخلاق، ومنكرات الأعمال، ومنكرات الأهواء.

وبحسن الخلق كان ﷺ يوصى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرَادَ سَفَرًا فقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أوصِني، قَالَ: «اعْبُدِ اللهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ زِدْنِي، قَالَ: «إِذَا أَسَأْتَ فأحْسِنْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِي، قَالَ: «اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ»[3].

وبحسن الخلق أرسى رسول اللهﷺ الضوابط التي عليها يتعامل الناس، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ

[1] - رواه أبو داود والبيهقي، وصححه الألباني.
[2] - رواه الترمذي في سننه، وصححه الألباني.
[3] - رواه ابن حبان، وحسنه الألباني.

اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [1].

وحسن الخلق هو خير الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ» [2].

ويمكن للعبد أن يكتسب حسن الخلق، أو يستزيد منه بأن يسأل الله أن يحسِّن خلقه كفعل رسول الله ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللهِ [3] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي» [4]، وبعد دعاء الله وسؤاله يُكتسب الخلق الحسن بالتدرُّب عليه والتمرُّن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوَقَّهُ» [5].

[1] ـ رواه الترمذي، وقال الألباني: حسن لغيره.
[2] ـ أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، وصححه الألباني.
[3] ـ عبد الله بن مسعود.
[4] ـ رواه البيهقي عن عائشة، وصححه الألباني.
[5] ـ أخرجه الخطيب في تاريخه، وصححه الألباني.

ولحسن الخلق ثمرات عظيمة؛ أولها أنه يوصّل صاحبه إلى محبة الله الذي يحب أحسن الناس أخلاقًا.

ثانيها أن حسن الخلق يطيل العمر، ويبارك فيه، ويصلح الدارين؛ الأولى والآخرة، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»[1].

ثالثها أن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَااللّهُ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[2].

رابعها أنه دليل حسن إسلام المرء، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُكُمْ إِسْلَامًا أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا إِذَا فَقِهُوا»[3].

---

[1] - رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.
[2] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.
[3] - أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

وخامسها أن الإيمان لا يكمل إلا بحسن الخلق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1].

وسادسها أنه عمل لا يعدله عمل، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»[2].

وسابعها أنه أثقل ما يكون في الميزان، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[3].

وثامنها أن صاحبه ينال حب رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ[4]

---

[1] - رواه الترمذي، وقال الألباني: حسن صحيح.
[2] - أخرجه البيهقي بتمامه، وحسّن الألباني هذا الشطر منه.
[3] - رواه أبو داود، وصحح الألباني.
[4] - الثرثار هو كثير الكلام تكلّفًا.

وَالـمُتَشَدِّقُونَ[1] وَالـمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالـمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الـمُتَكَبِّرُونَ»[2].

وتاسعها أنه أكثر ما يدخل الناس الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[3].

عاشرها أن رسول الله ﷺ يعد من حسنت أخلاقه ببيتٍ في أعلى الجنة، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ[4] لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَه»[5].

---

[1] ـ المتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه.
[2] ـ رواه الترمذي، وصححه الألباني.
[3] ـ رواه الترمذي، وحسنه الألباني.
[4] ـ ربض الجنة أدناها، وربض المدينة ما حولها من العمارة.
[5] ـ رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

١٣-تسامح

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ»[1]

السماحة في الإسلام هي سلاسة المعاملة، ولين الجانب، وبشاشة الوجه، والتجاوز عن الخطأ، والتيسير على الناس، والرفق معهم، ومخالقتهم بخلقٍ حسن.

والسماحة تكون في البيع بأن يكون البائع سمحًا متساهلًا لا يغالي في ثمن بضاعته، ولا يخفي عيوبها، وأن يُرجح الوزن، وتكون في الشراء بأن يكون المشتري سمحًا كريمًا مع البائع خاصةً إن كان فقيرًا، لا يكثر المساومة، ولا يضيق عليه، ويوفيه حقه كاملًا، بل ويزيده، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَفَةُ الْعَبْدِيُّ بَزًّا[2] مِنْ هَجَرَ[3]، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى، وَوَزَّانٌ يَزِنُ بِالْأَجْرِ[4]، فَاشْتَرَى مِنَّا سَرَاوِيلَ، فَقَالَ

---

[1] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.
[2] - ثياب.
[3] - الاسم القديم لمدينة الإحساء حاليًا.
[4] - وكانوا يتعاملون بوزن النقود لا بعددها.

لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ»[1]، والمعنى: زن ووفه حقه، وأعطه أكثر مما يستحق.

وتكون السماحة في الدَّيْنِ بأن يصبر الدائن على المدين، ولا يلح عليه بطلب ماله مادام معسرًا: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[2]، قال أبو اليسر –وكان من صحابة رسول الله ﷺ-: كَانَ لِي عَلَى فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ الْحَرَامِيِّ[3] مَالٌ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ: ثَمَّ[4] هُوَ؟ قَالُوا لاَ. فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ[5]، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي. فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ. فَخَرَجَ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا وَاللهِ أُحَدِّثُكَ ثُمَّ لاَ أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا.

---

[1] - رواه ابن ماجة والنسائي وصححه الألباني.
[2] - سورة البقرة 280، ونظرة أي انتظار وإمهال.
[3] - نسبة إلى بني حرام.
[4] - هنا.
[5] - جفر أي له كرش.

قَالَ: قُلْتُ: آللهِ. قَالَ: اللهِ. قُلْتُ: آللهِ. قَالَ: اللهِ . قُلْتُ: آللهِ. قَالَ: اللهِ[1]. قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلاَّ أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ – وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ – وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا – وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ – رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»[2].

وتكون السماحة في قضاء الدين بتعجيله قدر المستطاع، وعدم مماطلة صاحبه مع القدرة على قضائه، ورده بأحسن منه عند القدرة عليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ مِنَ الإِبِلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ»، فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا[3]، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ»، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللهُ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[4].

---

[1] - يعني حلَّفه ثلاثًا فحلف.
[2] - رواه مسلم.
[3] - أي لم يجدوا ما يماثله في العمر، فأمر النبي ﷺ بجمل أكبر سنًّا، وهو خيرُ من جمله.
[4] - رواه البخاري.

والسماحة مع الخصوم تكون بتقديم المعروف لهم وإن قدموا الأذى، واللين لهم وإن أغلظوا، وقبول العذر إن اعتذروا، وإقالة عثراتهم إن عثروا، يقول ابن القيم: وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه– وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له. فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحو هذا من الكلام. فسرُّوا به ودعوا له. وعظَّموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه[1].

حتى في الحروب يحرص هذا الدين الحنيف، والشريعة السمحاء على أعدائه كما يحرص على أوليائه، وتنطق وصايا

---

[1] ـ مدارج السالكين لابن القيم.

النبي ﷺ للأمراء عند الغزو بأسمى معاني السماحة، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا[1]، وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَمْثُلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا»[2]، وبهذا النهج انتهج الخلفاء الراشدين من بعده، وعلى هديه ساروا، لـمَّا بعث أبو بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان إلى الشام كان من جملة ما أوصاه: ...وَلاَ تَقْتُلُوا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ وَلِيدًا، وَلاَ تُخَرِّبُوا عُمْرَانًا، وَلاَ تَقَطَّعُوا شَجَرَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ، وَلاَ تَعْقِرَنَّ بَهِيمَةً إِلاَّ لِنَفْعٍ، وَلاَ تُحْرِقَنَّ نَحْلاً، وَلاَ تُغْرِقَنَّهَ، وَلاَ تَغْدِرْ وَلاَ تُمَثِّلْ...[3].

غير أن السماحة وإن نُدبت في الأمور كلها، إلا أنها تُكره في بعض الأمر؛ فلا تسامح عند انتهاك حدود الله، عَنْ

---

[1] - الغلول هو الخيانة في المغنم.
[2] - صحيح مسلم.
[3] - سنن البيهقي الكبرى.

عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا»[1].

وكذلك لا يتناقض طلب الحق والسماحة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا، وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ»، قَالُوا: لا نَجِدُ إلا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «اشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»[2].

وللسماحة ثمراتٌ عظيمة تعود على صاحبها؛ أولها الفوز بمحبة الله الذي يحب الرجل السَّمِحَ في معاملاته مع الناس، ثانيها أنها تكفِّر ذنوب صاحبها وتجعل الله يتجاوز عنها يوم القيامة، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه،

---

[1] - صحيح البخاري.
[2] - رواه البخاري.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»[1].

ثالثها أنها تجلب رحمة الله، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[2].

رابعها أنها تنجي صاحبها من كرب يوم القيامة، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»[3].

وخامسها أن الرجل السمح الذي يقيل عثرات الناس ويتسامح معهم في ديونهم يظلُّه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»[4].

---

[1] - متفق عليه.
[2] - رواه البخاري.
[3] - رواه مسلم.
[4] - رواه مسلم.

وسادسها أن السماحة تحرِّم صاحبها على النار، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَلَى مَنْ تُحَرَّمُ النَّارُ غَدًا؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ»[1].

[1] - رواه ابن حبان، وصححه الألباني.

١٤ـ أتقن عملك

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ»[1]

والإتقان هو أداء العمل دون خلل، وإحسان القيام به على خير صورة وأتمِّ وجه، وقيل الإتقان هو معرفة الشيء بيقين، وأداؤه بيقين؛ إرضاءً لله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُحِبُّ اللهُ الْعَامِلَ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ»[2].

وقد وصف الله نفسه بالإتقان: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[4]، وكما أتقن الله كلَّ شيءٍ، وأحسن كلَّ شيء، فقد كتب الإتقان والإحسان على كل شيءٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[5].

---

[1] ـ أخرجه السيوطي، والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه الألباني.
[2] ـ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني.
[3] ـ سورة النمل 88.
[4] ـ السجدة 7.
[5] ـ رواه مسلم.

وعلى كلِّ عاملٍ أن يتيقن أن الله ينظر إليه، ويراه، ويرى عمله، وسيحاسبه عليه، فيحسن ذلك العمل طمعًا في جزيل الأجـــــــر: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

وإتقان العمل لا يكون في أعمال الدنيا فقط، وإنما في كل الأعمال والعبادات، كالوضوء والصلاة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّلاَمَ، قَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ». ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، عَلِّمْنِي. قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ،

---

[1] - التوبة 105.

ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»[1]، والظاهر من الحديث أن العمل لا قيمة له ما لم يُعمل بإتقان، دلَّ عليه قوله: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»؛ فرسول الله ﷺ لم يقل له إن صلاته ناقصة، أو غير تامة، بل أشار إلى أنها كأن لم تكن؛ لأنها افتقرت إلى الإتقان.

وكذلك في الصيام والقيام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»[2]، فنزع الإتقان من العمل يعني نزع بركة العمل، وضياعه كأنه كان هباءً منثورًا.

وعند قراءة القرآن يجب الالتزام بقواعد التجويد، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه عند النطق به، والوقوف على

---

[1] - متفق عليه، واللفظ لمسلم.
[2] - رواه أحمد وابن ماجة والنسائي، وصححه الألباني.

معانيه، ومدارسة تفاسيره، ومعرفة أسباب نزوله، والائتمار بما فيه من أوامر، والانتهاء عما فيه من زواجر، واستشعار حلاوته، روى الزمخشري عن أحد الصالحين واسمه سالم الخواص أنه قال: كنت اقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، فقلت: اقرأ كأنك سمعته من رسول الله ﷺ. فجاءت حلاوة قليلة، ثم قلت: اقرأ كأنك تسمعه من جبرائيل، وهو الذي نزله على رسول الله ﷺ، فازدادت الحلاوة، ثم قلت: اقرأ كأنك تسمعه منه تبارك وتعالى حين تكلّم به، فجاءت الحلاوة كلها[1].

ومن إتقان القيادة والإحسان فيها اختيار أهل الكفاءة والإتقان، لا أهل المحبة والقربان، فكان النبي ﷺ يرفض تولية بعض الصحابة إن شعر أنهم لن يتقنوا العمل، لا لتقصيرٍ منهم، ولكن لعدم مناسبتهم لتلك المسئولية، عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ

[1] ـ الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار.

يَتِيمٍ»[1]، وكذلك جعل الإتقان شرطًا للإمامة، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ»[2].

حتى في اختياره ﷺ للمؤذن، لم يختر النبي ﷺ عبد الله ابن زيد الذي رأى رؤيا الأذان، إنما اختار من كان أكثر إتقانًا في أمر الصوت، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ؛ لِجَمْعِ الصَّلاَةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلاَةِ. قَالَ: أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى. قَالَ: فَقَالَ: تَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ

---

[1] - صحيح مسلم.

[2] - رواه مسلم.

مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللهِ، أَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللهِ، حَـيَّ عَلَـى الصَّـلاَةِ، حَـيَّ عَلَـى الصَّـلاَةِ، حَـيَّ عَلَـى الْفَـلاَحِ، حَـيَّ عَلَـى الْفَلاَحِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَ: وَتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلاَةَ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ، قَدْ قَامَـتِ الصَّـلاَةُ، اللهُ أَكْبَـرُ، اللهُ أَكْبَـرُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، فَلَمَّـا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ فَقَـالَ: «إِنَّـهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَـاءَ اللهُ، فَقُـمْ مَعَ بِـلاَلٍ فَـأَلْقِ عَلَيْـهِ مَـا رَأَيْـتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»[1].

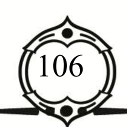
وإتقان العمل له ثمرات عظيمة يجب أن يحرص عليها كل عامـلٍ بـأن يحسِّـن عملـه، ويجـوده، ويخلصـه لله، ومـن هـذه الثمرات العظيمة إدراك محبة الله جلَّ في عـلاه؛ فهـو يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه.

[1] - رواه البيهقي وابن ماجة، وحسنه الألباني.

ومنها أن أجره يزداد زيادة عظيمة مع زيادة إتقانه، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[1]، فإن كان لمحاولة الإتقان والإحسان أجرين، فإنَّ لبلوغ الإحسان والإتقان بلوغًا لدرجة السفرة الكرام البررة، وما أعظمها من درجة! وما أعلاها من مكانة!

---

[1] - رواه الشيخان واللفظ لمسلم.



١٥- كن نافعًا

«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ»[1]

وتقــديم النفــع إلى النــاس دون انتظــار أجــرٍ مــنهم ولا مكافأة من أعظم العبادات، وهي من الصفات التي جُبلت عليها النفس الإنسانية السليمة، فقد كان رسول الله ﷺ يقدِّم النفع للناس عامتهم حتى من قبل أن يوحى إليه، تقول السيدة خديجة: أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[2]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي[3] الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[4]، فالسيدة خديجة تمتدح النبي ﷺ بمساعدته للناس، ونفعه إياهم، بل وتبشره بحسن الجزاء على ما يقدِّم من معروفٍ للناس، دون أن يأمره بذلك آمر، غير أن نفسه الكريمة دفعته إليه.

---

[1] - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وحسنه الألباني.
[2] - الكل: الضعيف.
[3] - تقري: تطعم، والقِرَى هو طعام الضيف.
[4] - متفق عليه.

وقـد أمـر الله عبـاده بفعـل الخـير: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وأمر بالتعاون فيه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[2]، فالتعـاون يكـون في منفعة الناس وخيرهم، ولا يكون في إيذائهم وإلحاق الضرر بهم.

وقـد امتـدح الله الـذين يقـدِّمون النـاس علـى أنفسـهم، ويقـدِّمون المنفعـة لغـيرهم وإن كانـت حـاجتهم لهـا أكـبر، فوصـفهم بـالمفلحين: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3].

وعلى المسلم أن ينفع أخاه مادام بمقدوره، عَنْ جَابِرٍ قَالَ كَـانَ لِي خَـالٌ يَرْقِـي مِـنَ الْعَقْـرَبِ فَنَهَـى رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَـنِ الرُّقَـى[4]، قَـالَ: فَأَتَـاهُ فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ، إِنَّـكَ نَهَيْـتَ عَـنِ

---

[1] - الحج 77.
[2] - المائدة 2.
[3] - الحشر 9.
[4] - نهى النبي ﷺ عن الرقى بما لا يعقل من الألفاظ غير المفهومة، قال به الألباني.

الرُّقَى، وَأَنَا أَرْقِى مِنَ الْعَقْرَبِ. فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[1].

وأفضل النفع الذي يقدَّم للغير: إدخال السرور على قلبه، أو الخبز على جوفه، أو قضاء دَينه، أو تنفيس كربته ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَفْضَلُ الأَعْمالِ: أنْ تُدْخِلَ على أخِيكَ الـمُؤمِنِ سُرُورًا، أوْ تَقْضِيَ عنهُ دَيْنًا، أوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا»[2]، والسعى في حاجات الناس يفضل الاعتكاف في المسجد، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أنْفَعُهُمْ، وأحَبُّ الأعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلِمٍ، أوْ تَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأَنْ أمْشِيَ مَعَ أخِي الـمُسْلِمِ فِي حاجَةٍ أحَبُّ إلي من أن أعتكف في الـمَسْجِدِ شَهْرًا، ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظًا ولوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أمْضاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ

[1] ـ صحيح مسلم.
[2] ـ أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وحسنه الألباني.

رِضًى يَوْمَ القيامة، ومن مشى مَعَ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي حاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَها لَهُ أَثْبَتَ الله تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ، وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ»[1].

والنفع لا يكون بالمساعدة المادية فقط، وإنما يكون في تبليغ العلم نفعٌ، وفي تعليم الناس نفعٌ، ومنه قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ، عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ»[2]، ومنه وصفه ﷺ للنافع غيره بعلم بالأرض الخصبة الطيبة التي قبلت المطر وأخرجت به خيرًا كثيرًا: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ»[3].

ويجب على فاعل الخير ومقدِّم النفع للناس ألا ينتظر طلبهم للمساعدة، بل عليه أن يعرض نفعه عليهم، ومن ذلك دعوة رسول الله ﷺ عمه العباس لينفعه ويعلمه صلاة التسبيح،

[1] - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وحسنه الألباني.
[2] - رواه مسلم.
[3] - صحيح مسلم.

عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ قَـالَ لِلْعَبَّـاسِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِبِ: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلاَ أُعْطِيكَ؟ أَلاَ أَمْنَحُكَ؟ أَلاَ أَحْبُوكَ؟[1] أَلاَ أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ: أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ

---

[1] ـ أحبوك: أعطيك.

مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً»[1].

ولا يمنع الرجل علو قدره وسمو منزلته عن خدمة الناس ونفعهم، بل إن ذلك أجدر به وأولى، روى ابن رجب الحنبلي: وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم، فلما استُخلف، قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها، فقال أبو بكر: بل وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله، أو كما قال، وكان عمر يتعاهد الأرامل، يستقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهارًا، فإذا هي عجوز عمياء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا مذ كذا وكذا يتعاهدني، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعورات عمر تتبع؟[2]

---

[1] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.
[2] - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي.

ولنفـع النـاس وقضـاء حـوائجهم ومسـاعدتهم ثمـراتٌ عظيمة؛ أولُّها إدراك محبة الله؛ إذ يكون أنفع الناس أحبهم لله.

ثانيهـا أن الله يعـين العبـد الـذي يعـين النـاس، عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهُ فِي عَـوْنِ الْعَبْـدِ مَـا كَـانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[1].

ثالثهـا أن نفعـه للنـاس يعـود عليـه بـالنفع؛ إذ يقيـه الله مصـارع السـوء، عَـنْ أَبِي أُمَامَـةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «صَـنائِعُ الـمَعروفِ تَقِـي مَصـارِعَ السُّـوءِ، وصَـدَقةُ السِّرِّ تُطْفِـئُ غضَبَ الرَّبِّ، وصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في العُمُرِ»[2].

رابعهـا أن ذلـك النفـع مهمـا كـان بسـيطًا صـغيرًا هـو صـدقاتٌ تضـاف إلى رصـيده، عَـنْ أَبِي ذَرٍّ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - رواه الطبراني، وحسنه الألباني.

لَـكَ صَـدَقَةٌ، وَبَصَـرُكَ لِلرَّجُـلِ الـرَّدِيءِ البَصَـرِ لَـكَ صَـدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُـكَ الحَجَـرَ وَالشَّـوْكَةَ وَالعَظْـمَ عَـنِ الطَّرِيـقِ لَـكَ صَـدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[1].

خامسـها أن لـه أجـر الصـائم وإن أفطـر، عَـنْ أَنَـسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فِي يَوْمٍ حَارٍّ، أَكْثَرُنَا ظِلاًّ صَاحِبُ الْكِسَاءِ، وَمِنَّـا مَـنْ يَتَّقِـى الشَّـمْسَ بِيَـدِهِ، قَـالَ: فَسَـقَطَ الصُّـوَّامُ وَقَـامَ الْمُفْطِرُونَ، فَضَرَبُوا الأَبْنِيَةَ وَسَقَوُا الرِّكَابَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ»[2].

سادسها أن له أجر عتق رقبة، عَنْ البَرَاءِ بْنَ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ[3] لَبَنٍ، أَوْ وَرِقٍ[4]، أَوْ هَدَى زُقَاقًا[5]، كَانَ لَهُ مِثْلَ عِتْقِ رَقَبَةٍ»[6].

---

[1] - رواه الترمذي، وحسنه الألباني.
[2] - رواه الشيخان، واللفظ لمسلم.
[3] - منح منيحة؛ أي أعطى عطاءً.
[4] - فضة، أي دراهم، وقيل من باب العطاء، أو من باب القرض.
[5] - أي أرشد إلى طريقٍ.
[6] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.

سابعها أن الله يفرِّج عنه كربة يوم القيامة، ويستره يومئذٍ، عَـنْ سَـالِمٍ عَـنْ أَبِيـهِ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: «الْمُسْـلِمُ أَخُـو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِـنْ كُـرَبِ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ، وَمَـنْ سَـتَرَ مُسْـلِمًا سَـتَرَهُ اللهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ثامنها أنه يحيا حياةً طيبةً في الدارين، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِـنْ النَّـاسِ مَفَـاتِيحَ لِلشَّـرِّ، مَغَـالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى[2] لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ[3] لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»[4].

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - طوبى: فُعلى من الطيب.
[3] - الويل: الهلاك.
[4] - رواه ابن ماجة، وحسنه الألباني.

١٦- كن جميلاً

«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[1]

الإسلام دين جميل، وربُّ الإسلام جميل، وهو ﷻ يحب الجمال، ويدعو إليه، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[2]، وَغَمْطُ النَّاسِ[3]»[4].

وقد خلق الله الكون جميلًا، تنطق كل ذرةٍ فيه بآيات الجمال، فقال تعالى في خلق الإنسان الذي صوَّره في أجمل صورة: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[5]، وقال في خلق

---

[1] - صحيح مسلم.
[2] - التكبر على الحق، وعدم قبوله.
[3] - امتهانهم واحتقارهم.
[4] - رواه مسلم.
[5] - غافر 64.

الحيوان: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾[1]، فالحيوانات مشهدها يسر الناظرين، قال تعالى في بقرة بني إسرائيل: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[2]، فالجمال مسرةٌ للعين، وراحةٌ للقلب، وبهجةٌ للنفس، قال تعالى في خلق النبات: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾[3]، وحتى في خلق السماء عمد الخالق البديع إلى تزيينها بالكواكب والنجوم: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[4]، فالكون بأكمله لوحة متناسقة الجمال، بديعة الألوان، تفننت بها يدُ خلَّاقٍ بديع، حتى الجنة، يحببها الله إلينا بذكر جمالها الذي تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾[5].

---

[1] - سورة النحل 5-6.
[2] - سورة البقرة 69.
[3] - سورة النمل 60 .
[4] - الحجر 16.
[5] - الزخرف 71.

ولم يكن غريبًا على الله الذي اعتنى بالجمال في خلقه غاية الاعتناء، أن يدعو عباده إلى التجمُّل والتزيُّن عند لقائه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1]، فالله يحب العبد الجميل النظيف، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟». قَالَ: قَدْ أَتَانِيَ اللهُ مِنَ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ. قَالَ: «فَإِذَا أَتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ»[2].

والإسلام يدعو إلى تحسين الهيئة، وتنظيف الثوب، وترجيل الشعر، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ». وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»[3].

---

[1] - الأعراف 31.
[2] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.
[3] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.

والجمال لا يكون فقط في الشكل والملابس، وإنما جمال الأخلاق، وجمال الروح، وجمال القلب، وجمال المعاملة أولى، وجمال النفس إنما يُدرك بالتقوى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾[1]، وبهذا اهتم الشرع الحنيف، وإليه دعا الله تعالى؛ فأمر أن يكون الصفح عمن أساء صفحًا جميلًا: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[2]، وهو الصفح الذي لا أذية فيه، ولا عتاب معه.

وأمر بالصبر الجميل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾[3]، وهو الصبر الذي لا شكوى معه ولا اعتراض.

حتى مع الأعداء أمر الله تعالى بالهجر الجميل: ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[4]، وهو الهجر الذي لا إساءة فيه ولا عدوان.

---

[1] - الأعراف 26.
[2] - الحجر 85.
[3] - المعارج 5.
[4] - المزمل 10.

وحتى عند انفصال الزوجين بالطلاق يأمر الله الزوج بأن يسرِّح زوجته سراحًا جميلًا: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[1]، والسراح الجميل هو سراحٌ بغير أذي، ولا منع واجب.

وليس في الإسلام ثمَّة ما يمنع أن يبحث المرء عن الجمال، ويسعى إليه، بل إن ذلك مندوبٌ عند اختيار الزوجة مثلًا، فيندب أن يسرُّه النظر إليها، ويعجبه منها حسنها: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾[2]، فلا بأس أن يبحث الرجل عن الزوجة الجميلة الحسناء، لكنه عليه ألا يُغفل أن جمال الدين ها هنا أولى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ[3]»[4].

---

[1] - الأحزاب 49.
[2] - الأحزاب 52.
[3] - كلمة تقال للدعاء.
[4] - متفق عليه.

وقد أباح الله الزينة لعباده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾[1]، فمادامت الزينة وفق ما أحل الله، ولم تخرج عما أباح في إطار ظوابطه الشرعية فلا بأس بها، كالحلي التي جعلها الله للناس ليتزينوا بها: ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[2]، فقد خلقها الله لتُلبس ويُتَزَيَّنَ بها، إذا كانت من باب التزيُّن للزوج مثلًا.

ولا يفوتنا ونحن ندعو إلى الجمال كما دعا إليه الإسلام، أن نعرِّج على مسألة عمليات التجميل، وحكم الشرع فيها، وجملة القول فيه أن التجميل قسمان:

قسمٌ جائز وهو ما يكون لإزالة ضرر، كإصلاح عيبٍ خلقي، أو تشوُّهٍ ناتج عن حادث أو نحوه.

وقسمٌ محرمٌ وهو ما يكون لزيادة الحسن مما لا حاجة فيه ولا ضرورة، كتكبيرٍ أو تصغيرٍ لبعض أعضاء الجسم.

---

[1] - الأعراف 32.

[2] - سورة النحل 16.

ومن ثمرات الحرص على الجمال الذي جعله الله قانونًا يسير عليه الكون، أن صاحبه يدرك محبة الله الجميل الذي يحب الجمال.

ومنها أن هذا التمسك بهذا الجمال، والسعى إليه يُكسب المؤمن صدقات، سواء كان هذا الجمال قولًا: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[1]، أو فعلًا: «وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[2].

ومنها أن ذاك شعبةٌ من شعب الإيمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[3].

---

[1] - متفقٌ عليه.
[2] - متفقٌ عليه، وكلاهما شطران من حديثٍ واحد: « كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ..».
[3] - رواه مسلم.

١٧-لا تُظهر كل عملك

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»[1]

إنَّ المقياس الحقيقي للإخلاص والتقوى هو وقت السرِّ، فإنْ حَرَصَ العبد على الطاعات في وقتٍ لا يراه أحد فهو التقي، وإن كان له عملٌ مخبوءٌ لا يعرف به أحد فهو المخلص، وإلى ذلك دعا رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»[2]، فعبادة الخفاء دليل الصدق، وعلامة الإيمان، لا يأتيها المنافقون، ولا المراءون؛ لذلك تفضل عبادةُ الخفاءِ عبادةَ الجهرِ، وتعلو عبادةُ السرِّ عبادةَ العلنِ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، فصدقة العلن مندوبة، لكنَّ صدقة السر أحبُّ إلى الله، وأفضل لصاحبها،

---

[1] - صحيح مسلم.
[2] - أخرجه السيوطي، وصححه الألباني.
[3] - سورة البقرة 271.

فهي تكسبه رضا الله، وتطفئ غضبه، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «..وصَدَقةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ..»[1].

وكذلك في كلِّ العبادات، على العبد أن يعمد إلى الخفاء؛ فذلك أخلص للعمل وأرجى للأجر، فالله يحب العبد الذي يعبده مخلصًا، غير مُرَاءٍ، مشغولًا بوجه الله لا عيون الناس، وصلاة الليل من أخصِّ أعمال الأتقياء الأخفياء، لأنها ثقيلة شديدة: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾[2]، لذلك هي موضع حبٍّ وإعجابٍ من الله، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلاَتِهِ ، فَيَقُولُ الله – تَعَالَى – لِمَلاَئِكَتِهِ: يَا مَلاَئِكَتِي انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي وَشَفَقَتِهِ مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ الله، فَفَرَّ أَصْحَابُهُ يَعْلَمُ مَا عَلَيْهِ فِي الْفِرَارِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِقَ دَمُهُ، فَيَقُولَ الله

---

[1] - رواه الطبراني، وحسنه الألباني.

[2] - المزمل 6.

لِمَلاَئِكَتِهِ: يَا مَلاَئِكَتِي انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ حَتَّى أُهْرِقَ دَمُهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي»[1]، فالأول ترك نومه وزوجته وقام يصلي في جوف الليل، دون أن يعلم به أحد، أو يراه أحد؛ رغبةً في الله، وفي رضاه، وفي محبته، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ، الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيهِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي كَيْفَ صَبَّرَ لِي نَفْسَهُ، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَذَرُ شَهْوَتَهُ فَيَذْكُرُنِي وَيُنَاجِينِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهَرُوا وَنَصَبُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ فِي السَّحَرِ فِي سَرَّاءٍ أَوْضَرَّاءٍ»[2]، وأيضًا عند قراءة القرآن، يُندب الإسرار، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الجَاهِرُ بِالقُرْآنِ، كَالجَاهِرِ

---

[1] - رواه أحمد، وابن حبَّان، وحسنه الألباني.
[2] - رواه البيهقي في الأسماء والصفات، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني.

بِالصَّدَقَةِ، وَالـمُسِرُّ بِالقُرْآنِ، كَالـمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ»[1]، وكذلك في سائر العمل، حتى الدعاء: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[2]، ذلك لأن عبادة السر هي اختلاءٌ بالله، وتخلُّصٌ مما سواه، وتعلُّقٌ به، وتفرُّغٌ له، محبةً له، ورجاءً فيه، وخوفًا من يومٍ فيه تُبلى السرائر: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[3]، فأخلصوا سرائركم لهذا اليوم، يقول وهب بن منبِّه: يا بني، أخلص طاعة الله بسريرة ناصحة، يُصَدِّقُ الله فيها فعلك في العلانية، فإن من فعل خيرًا ثم أسرَّه إلى الله فقد أصاب موضعه وأبلغه قراره، وإن من أسر عملًا صالحًا لم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ إلا الله فقد اطَّلع عليه من هو حسبه، واستودعه حفيظًا لا يضيع أجره، فلا تخافنَّ على عملٍ صالحٍ أسررته إلى الله ﷻ ضياعًا، ولا تخافنَّ من ظلمه ولا هضمه، ولا تَظُنَّنَّ أن العلانية هي أنجح من السريرة، فإن مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجر مع عرقها؛ العلانية

[1] - رواه الترمذي، وأبو داود، وصححه الألباني.
[2] - الأعراف 55.
[3] - الطارق 9.

ورقها، والسريرة عرقها، إن نخر العرق هلكت الشجرة كلها؛ ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها؛ ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خيرٍ ما كان عرقها مستخفيًا لا يرى منه شيء، كذلك الدين لا يزال صالحًا ما كان له سريرة صالحة، يصدِّق الله بها علانيته؛ فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها[1].

أمَّا استغلال الخلوات وأوقات السر في مبارزة الله بالمعاصي فهو أمرٌ شديد الخطورة، فإنه يحبط العمل، ويُذهب الحسنات ولو كانت كالجبال، عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ

[1] ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»[1].

ولعبادة السرِّ ثمراتٌ عظيمة وفضائل جمَّة؛ أوَّلها أن صاحبها يكون ممن يحبهم الله، ويضحك لهم، ويستبشر بهم: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ» ذكر منهم: «وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَذَرُ شَهْوَتَهُ فَيَذْكُرُنِي وَيُنَاجِينِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهَرُوا وَنَصَبُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ فِي السَّحَرِ فِي سَرَّاءٍ أَوْضَرَّاءٍ»[2].

ثانيها أن صاحبها ينال رضا الله، ويطفئ بعبادته الخفية غضب الله، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «..وصَدَقةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ..»[3].

---

[1] - رواه ابن ماجة، وصححه الألباني.
[2] - رواه البيهقي في الأسماء والصفات، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني.
[3] - رواه الطبراني، وحسنه الألباني.

ثالثها أن صاحبها يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» وذكر منهم: « وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1]، فهذا رجل أخفى صدقته، وهذا رجل تعلق قلبه بالله في خلوته.

رابعها أن لهم غرفًا في الجنة تُرى ظهورها من بطونها، وتُرى بطونها من ظهورها، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[2].

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

١٨ـ اطلب العلا

«إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا»[1]

وإنَّ من أهل محبة الله أولئك الـمُجدِّين، أصحاب الهمم العاليـة، السـاعين إلى العليـاء، الـراغبين في المجـد، أصـحاب النفـوس الطموحـة الوثَّابـة، التي لا ترضـى إلا بـالعلا، ولا تقبـل إلا بالمجد، ولا تنشغل بما دونه، وعلى هذا حث الإسلام، وأمر القــــــرآن: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[2]، وهـل ثمـة معـالي تفـوق الجنة!

وعلى هذا كان أصحاب الهمم العالية، الذين لا يبالون بغير معالى الأمور وأشرافها، فإذا سألوا الله الدنيا، سألوه ملكًا لا ينبغـــي لأحـــد: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾[3]،

---

[1] - رواه الطبراني، وصححه الألباني.
[2] - الإسراء 19.
[3] - ص 35.

وإذا طمحت نفوسهم، طمحت لما يعلو طموح الخلق: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾[1]، وإن سألوا الجنة، سألوا جوار الله، ولم يسألوا ألوان النعيم، فجوار الله عين النعيم: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾[2].

وبهذا دعا رسول الله ﷺ أصحابه؛ لتعلو هممهم، وتطمح نفوسهم للدرجات العلا، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[3].

وعلى هذا عاش الصحابة، لا يولُّون وجوههم إلا شطر العلا، ولا تتحول أعينهم عن المعالي، ولـمَّا كانت الجنة أعلى المعالي، كانت همتهم لها متَّقدة، وحماستهم مشتعلة، فكانوا يبذلون حياتهم في سبيلها، ويشرونها بأرواحهم وأنفسهم، يروي

---

[1] - الأعراف 143.
[2] - التحريم 11.
[3] - صحيح البخاري.

أنس بن مالك جانبًا من غزوة بدر فيقول: فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ». قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخٍ بَخٍ[1]. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟». قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، – قَالَ – فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[2].

وفتور الهمة يورث الندم، يوم يرى فاتر الهمة ضعيف الطموح كيف سمت الهمة بصاحبها، وعلا الطموح بأهله، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجلٍ من الأنصار: فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ[3] فإنهم اليوم كثير،

---

[1] - كلمة تقال للمدح والرضا والإعجاب، وتكرارها يكون للمبالغة.
[2] - رواه مسلم.
[3] - أي نتعلم منهم.

فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، فأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني عن الرجل فنأتيه وهو قائل[1]، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني[2].

يقول ابن القيم: النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس الشريفة العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا

---

[1] - نائم نومة القيلولة.

[2] - أخرجه النيسابوري في مستدركه، وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري.

بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجلُّ، والنفس المهينة الحقيرة والخسيسة بالضد من ذلك[1].

وللاشتغال بمعالي الأمور ثمراتٌ عظيمة؛ منها الفوز بمحبة الله الذي يحب من الأمور معاليها وأشرافها، ويكره سفسافها وتوافهها.

ومنها أن من علت همته، واختار لنفسه معالي الأمور، نالها، وأتته الدنيا راغمة، أمَّا من ارتضى لنفسه الأمور الدنيَّة، واستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير، أضاع على نفسه الدنيا والآخرة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[2].

---

[1] - الفوائد: ابن القيم.

[2] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.

ومنها أن منزلته في الجنة تعلو بقدر حرصه على إدراك المعالي، ومن أشرف الأمور وأعلاها قراءة القرآن والاشتغال به، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[1].

[1] - رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني.

١٩- كن مصلحًا

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّ اللهُ مَوْضِعَهَا؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ يُحِبُّ اللهُ مَوْضِعَهَا»[1]

لـمَّا كان التآخي وتأليف القلوب من غايات الشرع ومقاصده، كان الأمر من الله لعباده أن يصلحوا بين عباده، لتدوم نعمة الأخوة في الإسلام: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾[2]، لذلك حرص النبي ﷺ على الإصلاح بين المتخاصمين بنفسه، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»[3]، وَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى[4] ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

[1] - أخرجه الأصبهاني في الترغيب، وصححه الألباني.
[2] - الحجرات 10.
[3] - رواه البخاري.
[4] - طلب منه قضاء دَينه.

وَهُـوَ فِي بَيْتِـهِ، فَخَـرَجَ إِلَيْهِمَـا حَـتَّى كَشَـفَ سِـجْفَ[1] حُجْرَتِـهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ؛ أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «قُمْ فَاقْضِهِ»[2].

وعلى من أراد إصلاحًا بين الناس أن يلتزم بمجموعة من الآداب، منها التأني؛ فلا تُستحبُّ محاولات الإصلاح وقت الاحتداد، وإنما يُمهل المتخاصمان حتى يهدآ، فقد أباح رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تبرد فيها ناراهما، وتهدأ نفساهما، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ»[3].

ومنها أن يناجي المصلح كل متخاصمٍ على حدة، وسلوك مسلك النجوى؛ والنجوي مكروهة إلَّا في الصدقات،

---

[1] - هو السِّتر وقيل الستران المقرونان بينهما فرجة.
[2] - رواه الشيخان، واللفظ للبخاري.
[3] - متفق عليه، واللفظ لمسلم.

أو الأمر بالمعروف، أو الإصلاح بين الناس؛ حرصًا على مشاعر المتخاصمين: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1].

وليست النجوى فحسب هي التي تباح للمصلح، إنما الكذب اليسير أيضًا لا بأس به للإصلاح بين الناس، مادام ينمي الخير، ويؤدي إلى صلاح ذات البين، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ، أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ اللاَّتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: الْحَرْبُ، وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا[2].

---

[1] - النساء 114.

[2] - رواه مسلم.

وعليه أيضًا أن يبيِّن للمتخاصمين خطورة فساد ذات البين؛ فهما محرومان من غفران الذنوب مادامًا متخاصمين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[1]، وعلَّق النووي على قوله: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا؛ أَخِّرُوهُمَا حَتَّى يَفِيئَا أَيْ يرجعا إلى الصلح والمودة[2].

وكذلك على الساعي في الإصلاح أن يحذر المتخاصمين من عاقبة خصامها وقطيعتهما التي قد تصل بهما إلى إثم القتل وسفك الدم إن طال بهما الخصام، عَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ»[3].

---

[1] رواه مسلم، والبخاري في الأدب المفرد.
[2] - شرح النووي لصحيح مسلم.
[3] - رواه أبو داود وصححه الألباني.

وللإصلاح بين الناس ثمرات عظيمة، على المرء أن يحرص عليها حرصًا حثيثًا؛ أوَّلُها أن صاحبه يفعلُ فعلًا يحبه الله، فينال رضا الله ومحبته بذلك، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عُبَادَةَ ابْنِ عوف، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وَتَفَاسَدُوا»[1].

ثانيها أن الإصلاح بين الناس يعود عليه بالمكاسب كما تعود التجارة على صاحبها، عَن أَنَس؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لأَبِي أَيُّوبَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «تَسْعَى فِي صُلْحٍ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»[2].

ثالثها أنه خير، وبحسب المسلم أن يلجَّ كل طريقٍ فيه خير فيغنم منه ما استطاع: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[3].

---

[1] - رواه الطبراني في معجمه الكبير، وصححه الألباني.
[2] - أخرجه البزار في مسنده، وصححه الألباني بلفظٍ آخر: صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا.
[3] - النساء 128.

رابعها أن إرادة الإصلاح يصاحبها التوفيق من الله: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[1].

خامسها أن الإصلاح والتقوى متلازمان: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[2].

سادسها أنه يعدل الصدقة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ» قَالَ: «تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ...»[3]، وهو من أفضل الصدقات، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»[4].

سابعها أنَّ الإصلاح بين المتخاصمين من أفضل الأعمال التي يتقرَّبُ بها العبدُ إلى ربه؛ كالصلاة والأخلاق الحسنة الكريمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ مَا عَمِلَ ابْنُ

[1] - النساء 35.
[2] - الأنفال 1.
[3] - رواه الشيخان، واللفظ لمسلم.
[4] - أخرجه البخاري في التاريخ، والطبراني في المعجم، وصححه الألباني.

آدَمَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّلاةِ، وَصَلاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

ثامنها أنه يفضل درجة الصلاة والصيام والصدقة، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ» وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[2].

---

[1] - أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، وصححه الألباني بلفظ: ما عمل شيء أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين وخلق جائز بين المسلمين.
[2] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.

٢٠- كل مع الجماعة

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كَثْرَةَ الْأَيْدِي فِي الطَّعَامِ»[1]

هو دربٌ من دروب الكرم، قلَّ من يسير فيه، وبابٌ من أبواب الجود، ندر من يطرقه، وهو مع ذلك سبيلٌ لتقوية الروابط والعلاقات، وتأليف القلوب والنفوس، وبه تحصل بركة الطعام، عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ. قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»[2].

وهذا خلقٌ من أخلاق العرب، إذ كان بعضهم لا يأكل وحده، إلا إن وجد من يأكل معه، فأنزل الله في ذلك قرآنًا: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[3]،

---

[1] - السلسلة الصحيحة.

[2] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.

[3] - النور 61.

قال القرطبي في تفسيره: قيل: إنها نزلت في بني لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ، وهم حيٌّ من بني كنانة، وكان الرجل منهم لا يأكل وحده ويمكث أياما جائعًا حتى يجد من يُؤَاكِلُهُ، قال ابن عطية: وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن إبراهيم ﷺ، فإنه كان لا يأكل وحده. وكان بعض العرب إذا كان له ضيف لا يأكل إلا أن يأكل مع ضيفه، فنزلت الآية مبينة سنة الأكل، ومذهبة كل ما خالفها من سيرة العرب، ومبيحة من أكل المنفرد ما كان عند العرب محرمًا، نحت[1] به نحو كرم الخلق، فأفرطت في إلزامه، وإن إحضار الأَكِيلِ[2] لحَسَنٌ، ولكن بألَّا يُحَرَّم الانفراد.[3]

والطعام تُزاد بركته كلما زاد عدد الآكلين، وكلما تكاثرت الأيدي عليه، واجتمعت فيه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ»[4].

---

[1] - اتجهت.
[2] - الرجل يأكل معه.
[3] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
[4] - رواه مسلم.

وللاجتماع على الطعامِ آدابٌ يجب الحرص عليها؛ منها عدم البدء في الطعام إلا بعد أن يبدأ الأكبر؛ سنًّا أو مقامًا، ومنها وجوب تسمية الله قبل البدء فيه، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»[1].

ومن جملة الآداب أن يأكل كلٌّ مما يليه، ولا تطيش يده في القصعة كلها ولا يستأثر لنفسه بأطيب ما فيها دون غيره، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: أَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

[1] - رواه مسلم.

فَجَعَلْتُ آخُذُ مِنْ لَحْمٍ حَوْلَ الصَّحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[1].

وكذلك ألا يجمع الطعام أمامه ، أو يمسك بأكثر من واحدةٍ خشية أن يأكله غيره، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ جَبَلَةَ ابْنَ سُحَيْمٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَرْزُقُنَا التَّمْرَ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ أَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ جَهْدٌ، وَكُنَّا نَأْكُلُ فَيَمُرُّ عَلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تُقَارِنُوا[2] فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْإِقْرَانِ، إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ، قَالَ شُعْبَةُ: لَا أُرَى هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِلَّا مِنْ كَلِمَةِ ابْنِ عُمَرَ؛ يَعْنِي الِاسْتِئْذَانَ.[3]

وللاجتماع على الطعام ثمراتٌ وفضائل عديدة، منها أنه يجلب محبة الله الذي يحب كثرة الأيدي في الطعام.

ومنها أنه يجلب البركة، «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»[4]، والبركة المذكورة

---

[1] - رواه مسلم.
[2] - الإقران هو أخذ أكثر من تمرة في وقتٍ واحد.
[3] - متفق عليه، واللفظ لمسلم.
[4] - رواه أبو داود، وصححه الألباني.

ليست مخصوصة بالطعام والصحة والأجسام فقط، إنما تنسحب أيضًا على الاجتماع نفسه، فيبارك الله في القلوب، ويؤلف بينها، ويبارك في العلاقات الاجتماعية، فيقوِّي أواصرها، ويوطِّد صِلاتُها.

٢١ : ٤٠ - لا تكن من هؤلاء

٢١ - لا تعتدِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1].

الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم.

٢٢ - لا تُفسد

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[3].

٢٣ - لا تكفر

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[4].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[5].

---

1 - سورة البقرة 190.
2 - سورة البقرة 205.
3 - المائدة 64.
4 - سورة البقرة 276.
5 - آل عمران 32.

٢٤- لا تظلم

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

٢٥- لا تختل ولا تتفاخر

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[2].

الفخر يكون قولًا، والاختيال فعلًا، كالمشي بخيلاء، ومنه سميت الخيل؛ لأنها تختال في مشيتها.

٢٦- لا تخن

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[4].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[5].

---

[1] - آل عمران 57.
[2] - النساء 36.
[3] - النساء 107.
[4] - الأنفال 58.
[5] - الحج 38.

٢٧- لا تجهر بالسوء

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[1].

٢٨- لا تسرف

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2].

٢٩- لا تتكبر

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾[3].

٣٠- لا تفرح بطرًا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[4].

وليس عموم الفرح مذمومًا، إنما ذلك الذي يصاحبه الكبر والفخر والبطر، أما الفرح بفضل الله وبرحمته فمندوبٌ:

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[1].

---

[1] - النساء 148.
[2] - الأعراف 31.
[3] - النحل 23.
[4] - القصص 76.

٣١ـ لا تكن لدودًا

«إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِم»[2].

٣٢ـ لا تتقعّر

«إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ»[3].

يتخلل بلسانه؛ أي يديره في فمه إظهارًا لبلاغته، وهذه عادة عربية قديمة، والمراد ذمه في الحديث هو التقعُّر، وتكلُّف البلاغة لغير داعٍ، إلا تباهيًّا.

٣٣ـ لا تشغلك الدنيا عن الآخرة

« إنّ اللهَ تَعَالَى يَبْغُضُ كلَّ عالِمٍ بالدُّنْيا جاهِلٍ بالآخِرَة»[4].

ولا يُذمُّ العلم بأمور الدنيا إلا إذا صاحبه جهلٌ بالآخرة.

---

[1] - يونس 58.
[2] - متفق عليه.
[3] - رواه الترمذي، وصححه الألباني.
[4] - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني.

٣٤ـ لا تكن تافهًا

«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[1].

٣٥ـ لا تكن فظًّا غليظًا

«إِنَّ اللهَ ﷻ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ، جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، جِيفَةُ اللَّيْلِ، حِمَارُ النَّهَارِ، عَالِمٌ بِالدُّنْيَا، جَاهِلٌ بِالْآخِرَةِ»[2].

والجعظري هو الفظ الغليظ، والجوَّاظ هو الأكول الشروب البَطِر الكفور، والسخَّاب؛ بالسين أو الصاد كثير الخصام ورفع الصوت، وجيفة الليل هو الكسول الخامل عن العبادات الغافل عن القيام، وحمار النهار هو بليد الفهم المنهمك في عمل الدنيا فقط، حتى إذا جاء الليل نام كالجيفة عن عبادة الله، وهو يعلم من أمور الدنيا الكثير، وليس له من علم الآخرة نصيب.

---

[1] - رواه الطبراني، وصححه الألباني.
[2] - رواه البيهقي، وابن حبان، وصححه الألباني.

٣٦ـ لا تكن فاحشًا

«فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ».

والفحش هو الإيذاء باللسان أو الجوارح، وهو القبيح من القول والفعل، والتفحُّش هو تعمُّد الفحش، والزيادة فيه.

٣٧ـ لا تكن متبائسًا ولا ملحفًا

« إنّ اللهَ تَعَالَى إِذا أَنْعَمَ على عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ علَيْهِ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ والتَّبَاؤُس، ويُبْغِضُ السَّائِلَ المُلْحِفَ، ويُحِبُّ الحَيِّيَ العَفِيفَ المُتَعَفِّفَ»[1].

والبؤس والتباؤس هو الفقر والحزن، والتظاهر بهما، والإلحاف في السؤال، هو الإلحاح في الطلب.

٣٨ـ لا تسبل

«لَا تُسْبِلْ إِزَارَكَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ»[2].

وإسبال الإزار؛ أي إطالته لما بعد الكعبين.

---

[1] ـ أخرجه السيوطي، وصححه الألباني.

[2] ـ رواه ابن حبان، وابن ماجة، وحسَّنه الألباني.

٣٩ـ لاتكذب

«..فَلَا يُحِبُّ اللهُ الْكَذِبَ»[1].

٤٠ـ لاتكن عاقًا

«إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْعُقُوقَ»[2].

---

[1] - رواه الحميدي في مسنده، وصححه الألباني.

[2] - رواه أحمد، وصححه الألباني.

خاتمة

اللهم إنك تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، فاجعل اللهم ما في نفسي موافقًا لما في نفسك، واجعل اللهم ما أحبُّ موافقًا لما تحب، اللهم اجعلني أُحب ما لا أحبُّ مما تحب، واجعلني أُبْغِض ما أحبُّ مما لا تحب، ووفقني اللهم إلى ما أحب، على الوجه الذي تحب، وتقبَّله مني بالقبول الذي أحب، اللهم ألقِ عليَّ محبَّةً منك، ومحبَّةً فيك، ومحبَّةً لك، واجعلني لك كما تحب.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتاب: الأدب المفرد.

المؤلف: البخاري.

الكتاب: الأسماء والصفات.

المؤلف: البيهقي.

الكتاب: التاريخ الكبير.

المؤلف: البخاري.

الكتاب: الترغيب والترهيب.

المؤلف: الأصبهاني.

الكتاب: التقوى.

المؤلف: ابن أبي الدنيا.

الكتاب: الجامع الصغير.

المؤلف: السيوطي.

الكتاب: الجامع لأحكام القرآن.

المؤلف: القرطبي.

الكتاب: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم.

المؤلف: محمد بن فتوح الحميدي.

الكتاب: الزهد.

المؤلف: ابن المبارك.

الكتاب: السلسلة الصحيحة.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: السلسلة الضعيفة.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: السنن الصغرى.

المؤلف: البيهقي.

الكتاب: السنن الكبرى.

المؤلف: البيهقي.

الكتاب: الفوائد.

المؤلف: ابن القيِّم.

الكتاب: المستدرك على الصحيحين.

المؤلف: النيسابوري.

الكتاب: المعجم الأوسط.

المؤلف: الطبراني.

الكتاب : المعجم الصغير.

المؤلف : الطبراني.

الكتاب: المعجم الكبير.

المؤلف: الطبراني.

الكتاب: الموطأ.

المؤلف: مالك بن أنس.

الكتاب: الورع.

المؤلف: ابن أبي الدنيا.

الكتاب: تاريخ الرسل والملوك.

المؤلف: الطبري.

الكتاب: تاريخ بغداد.

المؤلف: الخطيب البغدادي.

الكتاب: تاريخ دمشق.

المؤلف: ابن عساكر.

الكتاب: تفسير القرآن العظيم.

المؤلف: ابن كثير.

الكتاب: جامع البيان في تأويل القرآن.

المؤلف: الطبري.

الكتاب: جامع العلوم والأحكام.

المؤلف: ابن رجب الحنبلي.

الكتاب: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

المؤلف: الأصبهاني.

الكتاب: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار.

المؤلف: الزمخشري.

الكتاب: سبل الهدى والرشاد.

المؤلف: الصالحي الشامي.

الكتاب: سنن أبي داود.

المؤلف: أبو داود.

الكتاب: سنن الترمذي.

المؤلف: الترمذي.

الكتاب : سنن النسائي الكبرى.

المؤلف : النسائي.

الكتاب: شرح صحيح مسلم.

المؤلف: النووي.

الكتاب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر.

المؤلف: ابن القيم.

الكتاب: صحيح ابن حبان.

المؤلف: محمد بن حبان.

الكتاب: صحيح أبي داود.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: صحيح البخاري.

المؤلف: البخاري.

الكتاب: صحيح الترغيب والترهيب.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: صحيح مسلم.

المؤلف: مسلم.

الكتاب: صحيح وضعيف الجامع الصغير.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: صحيح وضعيف سنن ابن ماجة.

المؤلف: الألباني.

الكتاب: طبقات الشافعية الكبرى.

المؤلف: تاج الدين السبكي.

الكتاب: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

المؤلف: ابن القيم.

الكتاب: علو الهمة.

المؤلف: محمد إسماعيل المقدم.

الكتاب: فتح الباري.

المؤلف: ابن حجر.

الكتاب: فيض القدير شرح الجامع الصغير.

المؤلف: المناوي.

الكتاب: مدارج السالكين.

المؤلف: ابن القيم.

الكتاب: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.

المؤلف: القاري.

الكتاب: مسند أحمد.

المؤلف: أحمد بن حنبل.

الكتاب: مسند البزَّار.

المؤلف: البزَّار.

الكتاب: مسند الحميدي.

المؤلف: عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي.

الكتاب: مُصنف ابن أبي شيبة.

المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس



فَإذَا أَحْبَبْتُهُ

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ

وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا

وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ

وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ

رواه البخاري

